مركز الكلمة للأبحاث والدراسات
قضايا اجتماعية

الإله الآخر والتحدي الأعظم

عماد حنا

جميع الحقوق محفوظة

٢٠٢٥

الإله الآخر والتحدي الأعظم

عماد حنا

تقديم

يوصف عصرنا بأنه عصر انفجار المعلومات، وقد ساعدت السوشيال ميديا على انتشار هذه المعلومات بسرعة مذهلة.

وقد مر عالمنا عمومًا وبشكل خاص منطقتنا – الشرق الأوسط – بأحداث كثيرة وكبيرة وخطيرة غيرت أو كادت أن تغير شكل وحال المنطقة، بدايةً من الفوضى الخلاقة وأحداث ما سُمي بالربيع العربي، وما نتج عنهما من صعود تيار الإسلام السياسي وهجرة المسيحيين حتى أنه يقال إن نسبتهم أصبحت ٣٪ بعد أن كانت ١٤٪، بالإضافة إلى ما أصاب العالم من جائحة كورونا وتوابعها الصحية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب ارتفاع نسبة الإلحاد في المنطقة العربية، حيث تقول إحدى الإحصائيات إن نسبة الإلحاد في بعض الدول العربية قد وصلت إلى ٣٦٪.

هذه الأحداث وغيرها أدت فيما أدت زيادة التشويش الذهني للمواطن العربي عمومًا والمسيحي خصوصًا والذي يعيش في مجتمع متعدد الثقافات يحاول تشكيل قيمه ومبادئه بحسب هذه الثقافات، والتي تكون أحيانًا مخالفة لما يؤمن به ويعتقد فيه.

وهذه السلسلة من الكتيبات هي بمثابة محاولة لمعالجة بعض القضايا الفكرية اللاهوتية والاجتماعية من منظور مسيحي كتابي.

ونرجو أن تنجح هذه المحاولات في إزالة حالة التشويش والحيرة التي أصابتنا.

ويسر المركز أن يقدم للقارئ العربي هذا الكتاب الهام، الذي يناقش قضية المال واستخدامه وهل المال هو العدو الرئيسي للإنسان؟ وهل هو ذلك "الإله الآخر" الذي ينبغي لنا تجنبه كي نتمكن من عبادة الله بصورة صحيحة؟ هل اخطأت الكنيسة الأولى عندما باعت كل ما تمتلك؟ كيف يمكن فهم النصوص التي تتحدث عن المال في الكتاب المقدس؟.. وغيرها من الاشكاليات الخاصة بهذه القضية.

والمركز يتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور عماد حنا، الذي أثرى المكتبة المسحية بالعديد من الكتب والرويات وللجهد المتميز الذي بذله في البحث.

د. ثروت صموئيل – مدير مركز الكلمة

مقدمة

مَنْ هو ذلك الإله الآخر ؟

يقول الرب يسوع: "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ" (متى ٦: ٢٤).

في هذا النص، نجد أن الرب يسوع وضع الله في موازنة مواجهة أمام المال. وبما أننا نعبد الله، يمكننا أن نصف الطرف الآخر في هذه المعادلة بأنه "إله آخر". لقد تسبب هذا الإله الآخر في جعل الرجل الغني، والذي جاء باحثًا عن الحياة الأبدية، تعيسًا لأنه كان ذا أموال كثيرة.

فهل يمكننا أن نستنتج أن المال هو الإله الآخر؟ وهل يعني ذلك أننا بحاجة لأن نكون فقراء لكي نسعد الله؟

لقد كانت نصيحة الرب يسوع للغني أن يبيع كل أمواله ويعطي للفقراء. وبمعنى آخر كان عليه أن يجرد نفسه من كل أمواله ويعيش فقيرًا. إن هذا هو المبدأ الذي أكده الرب يسوع نفسه عندما قال: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، فَإِنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ"، والمسيح نفسه لم يكن له أين يسند رأسه!

كل هذه الأمور تدفعنا للتفكير: هل المال هو العدو الرئيسي للإنسان؟ وهل هو ذلك "الإله الآخر" الذي ينبغي لنا تجنبه كي نتمكن من عبادة الله بصورة صحيحة؟

هل أكملت القراءة حتى هنا؟

لنتوقف لحظة واحدة.

هل ما طرحته في هذه المقدمة دقيق؟

قل رأيك، ولنبدأ في قراءة الكتيب.

المؤلف
عماد حنا
مدرس علم نقد النص بكليات اللاهوت

الفصل الأول:

إيمان أم دروشة؟
الكنيسة الأولى ومفاهيم مغلوطة

"وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا، لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ حُقُول أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا، وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ، وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ، فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ. وَيُوسُفُ الَّذِي دُعِيَ مِنَ الرُّسُلِ بَرْنَابَا، الَّذِي يُتَرْجَمُ ابْنَ الْوَعْظِ، وَهُوَ لاَوِيٌّ قُبْرُسِيُّ الْجِنْسِ، إِذْ كَانَ لَهُ حَقْلٌ بَاعَهُ، وَأَتَى بِالدَّرَاهِمِ وَوَضَعَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ." (أعمال الرسل ٤: ٣٣-٣٧).

عندما أقرأ هذا المقطع الكتابي، أتذكر تلك الترنيمة الشعبية التي اعتدنا أن نترنم بها حين كنا صغارًا والتي تقول:

– "لكن أنا مش من هنا، أنا ليا وطن تاني".

والمعنى هو أنني غريب عن تلك الأرض، وليست لي صلة بها منذ أن قبلتُ عمل الرب وانضممتُ إلى عائلة المسيح. وفي الواقع، هذا الفكر ليس غريبًا عن الكنيسة، فلقد كان الشعور السائد على الكنيسة منذ بداية تكوينها، هو أنهم، منذ لحظة الميلاد الثاني ودخولهم ضمن عائلة الكنيسة، قد صاروا غرباء عن بقية العالم. وما أكد هذا الشعور لهم هو رفض المجتمع لهم تمامًا في هذا التوقيت، فاليهود كانوا يحاربونهم بضراوة، ومن بعدهم الرومان الذين اعتبروهم طائفة دينية خارجة عن الطائفة اليهودية، كل هذا أثَّر على سلوك الكنيسة، مما جعلها تتبنى هذا الاتجاه الانعزالي عن المجتمع، والذي أدى إلى التخلص من الأملاك والمقتنيات في انتظار الملكوت السعيد في عالم آخر.

ولكن هل كان هذا السلوك حكيمًا؟ سؤال يستحق التفكير .

المشكلة أننا عندما نقرأ النص، نجد أننا أمام مباركة الوحي المبارك لهذا السلوك، حيث يصف الوحي هذا السلوك بقوله: "نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ".

وعلى الرغم من هذا، أعود وأسأل مرة أخرى: هل كان هذا السلوك حكيمًا؟

إذا درسنا هذا السلوك على المستوى الاقتصادي، نجد أنه أثَّر على كل الكنيسة إلى أن وصلنا إلى عصرنا الحاضر، ولكن نتائج هذا الحدث كانت كبيرة جدًا.

لنبدأ من البداية:

إن موضوع المال يُعد من أكثر المواضيع الشائكة في مجتمعاتنا الكنسية، ويكمن التحدي في الموازنة بين فهم المصطلحات الكتابية وسلوكيات الكنيسة في أوقات معينة، وبين طريقة تطبيقها بشكل مناسب في وقتنا الحالي دون أن نستخدمها في غير موضعها.

فقارئ النص الذي بدأنا به حديثنا يمكن أن يستخلص أكثر من استنتاج يؤثر على حياته الفردية وحياتنا المجتمعية ككنيسة، دون أن يفكر في الظروف التي كانت الكنيسة تواجهها آنذاك، ولا في الفكر اللاهوتي السائد في ذلك الوقت والذي كان له تأثير بالغ على السلوك.

من جديد نرجع لعبارة: "أنا لستُ من هذه الأرض ولكن لي مكان آخر في السماء." هل هي عبارة صحيحة؟

بالتأكيد هي صحيحة من جانب ولكنها خاطئة من جانب آخر، فالله لم يُخرِج آدم من الجنة ليعيش في الأرض منعزلًا في انتظار مغادرتها، بل كان له دور اجتماعي يتمثل في العمل وتكوين أسرة والإثمار والإكثار.

هذا كان منذ البدء، وسيظل هذا الأمر إلى نهاية العالم، فكيف نحلل مباركة الوحي لهذا العمل الذي يؤدي إلى انعزال الكنيسة أكثر وأكثر؟

عندما باعت الكنيسة ممتلكات أفرادها، تحولت إلى مجتمع استهلاكي، إذ لم يعد لديها رأس المال الذي يمكن أن ينتج ويفيد ويساعدها ويساعد المجتمع. ومع مرور الوقت، احتاجت الكنيسة وبدأت تجمع المال لفقرائها من الكنائس الأخرى، وذلك بسبب فقرها الشديد. وبدلًا من عبارة: "إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا"، صاروا كلهم محتاجين، بما فيهم برنابا، والذي كان من أصحاب الأرض، لكنه أصبح هو نفسه محتاجًا، وجمع النقود عندما أرسله الرسل مع بولس إلى الأمم للخدمة.

فكِّر معي: هل ما حدث كان صحيحًا؟

لكن ماذا عن مدح الوحي لسلوكيات الكنيسة وقت تكوينها؟ ألم تُكتب هذه السلوكيات لكي ما نتعلم منها ونحذو حذو الكنيسة الأولى؟! الأمر يحتاج إلى تحليل المجتمع وفكره آنذاك.

إذًا علينا قبل أن نقلد أن نطرح هذا السؤال:

- لماذا تبنت الكنيسة هذا السلوك؟

قبل أن أبدأ في دراسة هذا الموضوع، أردتُ أن أضع رأيي في أكثر سلوك فعلته الكنيسة الأولى أثار تحديًا لمؤمني هذه الأيام، وهذا السلوك هو بيع الأراضي ووضع ثمنها عند أقدام الرسل (أعمال الرسل ٤: ٣٣-٣٧). يتم تفسير هذا السلوك على أساس أننا لسنا من هذا العالم، وأننا في فترة مؤقتة وسنرحل في النهاية، ولذلك يجب أن يكون تفكيرنا سماويًا وليس أرضيًا.

احتقار الممتلكات وانتظار المجيء الثاني

إننا لا نستطيع أن نلوم الكنيسة في هذا التوقيت أنها فعلت هذا الأمر، إذ أنها كانت تعيش في حالة من المشاعر المتضاربة، ما بين ذلك الجسد الذي تكون حديثًا والمكون من أعضاء كثيرين، يعاني الكثير منهم من احتياج وجوع شديدين، وبين إيمان

الكنيسة، والتي هي جسد المسيح، بأن وجودها في الأرض هو وجود مؤقت وأنها سرعان ما سوف تصعد إلى ذلك الرأس، الذي هو المسيح.

لنكتب الأمر بتفصيل أكثر:

نحن نجد أن الكنيسة، بحسب ما ورد في أعمال الرسل الإصحاح الرابع، كانت تهدف إلى تحقيق المساواة بين جميع أعضائها، فلجأت إلى سلوك في غاية الخطورة، حيث قام الأغنياء ببيع ممتلكاتهم وتقديمها للرسل، ليقوم الرسل بإعادة توزيعها على الجميع، ليس بحسب العدل، بل بحسب الاحتياج، بحيث يصبح كل عضو قادرًا على تسديد احتياجاته بصورة متكافئة.

ولكن هذا عن الإنفاق، فماذا عن الإيراد؟ ما هي نتيجة ما حدث؟ لقد ازدادت الكنيسة فقرًا، لأنه بعد عام واحد أُنفق كل ما في الجيب ولم يأتِ المنتظر في الغيب – أقصد مجيء المسيح ثانيةً. الحياة استمرت ولم يأتِ المسيح بالسرعة التي توقعوها، وأصبح أمامهم تحدٍ: أن يعيشوا من جديد.

واحتاج الناس إلى النقود من جديد، ولكن الذي دفع مرة لم يستطع أن يدفع بل صار ضمن طائفة الفقراء وبحاجة إلى معونة!!

لماذا قامت الكنيسة بالتخلص من ممتلكاتها في البداية؟ وهل يمكن أن يكون سلوكًا أو طقسًا علينا أن نلتزم به لكي نصبح غير محبين للمال، ونعبد إلهًا واحدًا غير معتمدين على الآخر؟

لدي في هذه الفكرة بعض الملاحظات التي سأضعها في عناوين فرعية وأناقشها.

سلوك يعبِّر عن أناس مقبلين إلى الموت

في الواقع، النعمة التي امتلأ بها الجميع هنا ليس معناها سلامة السلوك، بل هي إعلان عن تقديم ما لدينا للغير بمنتهى الأريحية، دون التفكير في عاقبة هذه الأمور على الشخص الذي قدم ما لديه. والدليل على ذلك أن مَنْ كذب بشأن هذا الأمر واجه عقابًا مباشرًا، ليس لأنه لم يقدم الكل، بل لأن الدافع الأساسي وراء تقديمه كان سلبيًا. لقد تحول من شخص أراد أن يجعل إخوته في نفس المكانة التي هو عليها إلى شخص يسعى للحصول على المدح دون أن يقدم ما لديه تقديمًا حقيقيًا.

إذًا، ما حدث في الكنيسة الأولى هو الإجابة على هذا السؤال.

لماذا نحتفظ بممتلكات بينما إخوتنا يموتون جوعًا، وفي الأيام القليلة سيأتي المسيح ويأخذنا؟ فلنعش كلنا في مستوى واحد إلى أن يأتي المسيح.

وأثمر هذا الفكر عن بيع الممتلكات، فإلههم الواحد هو المسيح، وهو سيأتي قريبًا ويأخذ المؤمنين.

لو كان لاهوتهم مختلفًا ربما كانوا قد فكروا في استثمار تلك الأراضي، حيث يذهب الفقير المحتاج ليعمل في الأرض ويحصل على أجر يعيش به، وهذا يجعل لدى الكنيسة ممتلكات تأتي بدخل سنوي.

لكن عندما لم يأتِ المسيح بالسرعة المتوقعة، اكتشف المؤمنون أنهم لا يزالون بحاجة لتلك الممتلكات التي تخلصوا منها وأنفقوا ثمنها، دون محاولة إعادة استثمارها.

إذًا، تقليد ما حدث بدعوى أني لا أعبد ألا المسيح يحتاج إلى مراجعة.

لكن أنا مش من هنا

الفكرة الثانية التي راودت الكنيسة هي هذه:

لقد قبلنا المسيح، وقريبًا سوف يأتي ليأخذنا، فلماذا نهتم بالغد؟ ولماذا نهتم بوجود هذه الممتلكات في حيازتنا بينما نترك إخوتنا محتاجين؟

مع أن المنطق يقول بأن المحتاج يمكن أن يعمل في تلك الأرض التي بيعت، وبالتالي يحصل على قوت يومه نظير أجر، دون الاحتياج لبيع الأرض، كما أن هناك مَنْ يمكن أن يبيع نتاج الأرض ويستثمر النقود في زيادة ما تدره الأرض من ربح، أما المحتاج غير القادر على الكسب فهو الذي يحصل على مساعدة.

ولكن الكنيسة مقتنعة أننا لسنا من هنا، ولذلك فلن نفكر كما لو كنا سنظل هنا أبد الدهر.

أسئلة للتفكير:

هل سبق وسمعت واعظًا في الكنيسة يقول كلامًا مشابهًا، خصوصًا في ظل الأزمة الاقتصادية الحالية؟.

هل رأيت في بعض الكنائس تلك المشاعر الحماسية المتأججة، رغم البطون الجائعة، حيث يعلن المؤمنون بثقة أنهم ينتظرون السيد؟

لنرجع للكنيسة الأولى، ونسأل: ما الذي كانت الكنيسة تفكر فيه وهي تبيع ممتلكاتها؟

فقر مدقع وعدم القدرة على مواكبة الأحداث

نأتي للنتيجة النهائية، حيث يصف لنا الوحي المبارك حال الكنيسة في عامها الأول هذا السلوك فيقول: "إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا".

ولكن هل استمر الوضع بهذه الطريقة؟ انظر، عزيزي القاري، إلى ما حدث لاحقًا عندما أراد بطرس وبرنابا تحضير حملة كرازية، ماذا فعلا؟ هل كانت الأموال متوفرة؟

ماذا عن الكنيسة في أورشليم؟ هل ظلت غنية؟ أم أنها صارت أفقر الكنائس، بينما ظلت كنائس آسيا، والتي تمتعت بازدهار في التجارة والصناعة، غنية وكانت تقدم الدعم المالي لأورشليم وللرسل؟

إذًا، النتيجة التي نصل إليها تشير إلى ضعف الفكرة من الناحية العملية. ومع ذلك، فقد نفذوها بكل إخلاص، مما جعل النعمة تفيض عليهم. لكن مهما كانت نواياهم صادقة، تظل الفكرة في جوهرها غير ناجحة.

نير صعب بالنسبة لكثيرين

وإلى الآن، تستمر الدروشة في هذا الموضوع في إنتاج شعب متكاسل ضعيف، يصلي طوال الليل وينام في النهار، لا يخطط لمستقبله، مكتفيًا بانتظار مجيء المسيح، وفي نفس الوقت يتهم الناجح بأنه لص عديم الأمانة، وكأن قمة الروحانية تتجسد في البقاء داخل جدران الكنيسة لأطول فترة ممكنة والانشغال بالعبادة فقط. كما أن المؤمنين كانوا يستخدمون عبارة المسيح: "وَهذِهِ

كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ"،[1] وقد أصبحت فكرة رئيسية ألقيت على عاتق الكنيسة عبر العصور. لكن هذه الفكرة تحولت مع الوقت إلى نير ثقيل لا يمكن إنكار نتائجه، حيث أدى إلى أن تصبح الكنيسة ذات مستقبل فقير جدًا.

كنيسة ذات مستقبل فقير جدًا

عندما أصبحت الكنيسة فقيرة واحتاجت إلى الموارد، ظهر عدم توازن واضح بين تركيزها على الصلاة والعبادة، وبين حاجتها إلى تدبير الأموال اللازمة للخدمة، وهذا ما أدى في الواقع إلى ظهور فئة الشمامسة في الكنيسة، والذين أصبح دورهم محوريًا في سد نواحي الاحتياج ورعاية المحتاجين. وربما ما حدث في السنة الأولى من عمر الكنيسة كان خطوة ضرورية لاكتشاف هذه الاحتياجات ومعالجتها بشكل عملي.

الفرق بين المجتمع الكنسي الآن والمجتمع الكنسي في القرن الأول

	القرن الأول	العصر الحالي
من حيث الاعتراف الدولي	لم تكن الكنيسة في هذا الوقت كيانًا معترفًا به، بل كانت تعيش تحت الأرض حرفيًا، بكل ما تحمله الكلمة من معنى	مؤسسة ضخمة لها حقوق وواجبات، تتمتع بحرية العبادة، فظهرت عدة مؤسسات تعمل بمنتهى الحرية
من حيث حرية التعبير	ليست لديها أي حرية تعبير، فقد جُلد التلاميذ لأنهم بشروا باسم المسيح	توجد قوانين لضمان حرية التعبير، صحيح أنه يوجد مَنْ يحاول أن يضطهد الكنيسة بأساليب متعددة، لكن الكنيسة أصبحت كيانًا قائمًا يعبِّر عن رأيه

[1] سوف نفهم معنى هذه العبارة لاحقًا.

من حيث الممتلكات	اضطرت الكنيسة أن تبيع ممتلكاتها بعد أن اتخذت الاشتراكية مبدأً لها، وذلك لأن أعضاءها كانوا يؤمنون بأنهم يعيشون فترة مؤقتة وسوف يرحلون مع مجيء المسيح	الكنيسة تعيش بحسب قوانين بلادها، ولها ممتلكات وخدمات وكيان لا يمكن إنكاره بعد أن ثبت أن مجيء المسيح لن يحدث في هذا الجيل بالضرورة
من حيث الفكر اللاهوتي حول مجيء المسيح	توجد إشارات حول مجيء المسيح فهمتها الكنيسة الأولى على أنها تعني أن أبناء هذا الجيل سوف يرونه بالتأكيد	تنتظر مجيء المسيح ثانيةً ولكن لا تعرف متى سيحدث ذلك
من حيث العمل	العمل فقط للبقاء أحياء بصورة مؤقتة، ولكن التفرغ للعبادة كان هو الأولوية	إذا استمرت الكنيسة في إتباع مبدأ الكنيسة الأولى فستواجه خطر الموت جوعًا ... لذلك ينبغي أن يكون لها دور رائد

ما كتبته في الجدول بالذات في الجزء الخاص بكنيستنا الحالية خالٍ من الصراع الضميري الذي يعيشه الكثير من الأفراد، وهم يتساءلون:

أليست محبة المال أصل لكل الشرور؟

ألا ينبغي أن نقدم كل ما في أيدينا؟

ألا ينبغي أن نفكر في الملكوت فقط، وكل هذه تزاد لنا؟

هذا الصراع يظهر بوضوح في نفوس الأفراد وسلوكياتهم، والمشكلة أن المعلمين يواصلون تقديم نفس هذا التعليم دون أن يروا الخطر الذي يُحدِثه في نفوس المستمعين وهم يصغون لهذا الكلام.

أما الكنيسة كمؤسسة، فقد انجرفت بعض فئاتها إلى اتجاه مغاير تمامًا، وهو ما سيكون موضوع الفصل التالي.

الفصل الثاني

عندما تسيطر المادة

تكلمنا في البداية عن "دروشة" كنسية ناتجة عن سوء فهم لما قاله المسيح عن مجيئه سريعًا، مع واقع الكنيسة التي كان الكثير من أعضائها يعانون من الاضطهاد وشظف العيش.

دعونا نتكلم عن أسلوب آخر اتبعته الكنيسة في عصور الظلام الأوروبية، وهو أسلوب لا يزال يُستخدم حتى اليوم في العديد من الأماكن بطرق مشابهة.

في البداية، ما الذي كانت الكنيسة تفكر فيه في ذلك الوقت؟

الفكرة الأساسية كانت: كيف أجمع المال؟

دعني أروي لك هذه القصة، وبعدها نبدأ في تناول الموضوع.

في مجلس الكهنة، كان الراهب "يوحنا تنزل" يحاول أن يشرح وجهة نظره، فكان يقول بمنتهى الجدية:

- أعرف أن ما سأقوله ربما يثير دهشة البعض منكم لأنه كلام غير مسبوق، ولكنه كلام واقعي، وما أقوله يخص تلميذي المسيح، بطرس ويوحنا. في الحقيقة، لقد جانب بطرس ويوحنا الصواب عندما لمحا متسولًا على باب الهيكل وطلب منهما بعض النقود فقالا له: "ليس لنا ذهب أو فضة." لماذا لا يكون لديهما ذهب وفضة؟ إذا كان بطرس ويوحنا يملكان ما يمكن أن يؤهلهما للحصول على الذهب والفضة فلماذا لا يفعلان؟

- هل يمكن أن توضح قليلًا؟

قالها أحد الكهنة وهو يحاول أن يخفي دهشته، بل واستياءه، عندما وصف تلميذي المسيح بأنهما على خطأ، بالذات بطرس، والذي يُعتبر رأس الكنيسة، ولكن "يوحنا تنزل" قال بسرعة:

- لماذا يقولان: "ليس لنا ذهب أو فضة"؟ ولماذا ليس لهما؟ لا يوجد شيء مجاني، إذا كان المتسول قد استعاد قدرته على السير من جديد بسبب معجزة صنعها له بطرس فلماذا لا يدفع الثمن؟! لماذا تظل جيوب بطرس فارغة بينما يستطيع أن يملأها بالذهب؟ لا بد للمتسول أن يدفع، وأنا هنا لكي أتلافي هذا الخطأ الذي امتد لقرون طويلة.

وبالفعل، حدث هذا الأمر الذي ظن الكهنة في البداية أنه مزحة.

أصبح من الضروري أن تضع عملتين ذهبيتين في الصندوق لكي تحصل على شفاعة أو غفران. ونجحت الفكرة.

وعندما نجحت الفكرة وامتلأ صندوق الكنيسة بالمال، ظهرت بنود لإنفاق تلك النقود. ويبدو أن كثرة المال تجلب الجشع أيضًا، فبدأت الكنيسة تبحث عن المزيد من الوسائل للحصول على المال، فقد ظهرت بنود جديدة للإنفاق، لذلك أرادت الكنيسة المزيد.

لمن نلجأ؟ أكيد صاحب الفكرة الأولى، لذلك كان على الراهب "يوحنا تنزل" أن يبدع أكثر، خاصةً عندما بدأت الكنيسة تنفق على بناء مبنى عملاق هو كنيسة القديس بطرس، ففرغت صناديق أموال الكنيسة من جديد، وأصبحت بحاجة إلى المزيد من الأموال.

في هذا الوقت، أعجب البابا لويس العاشر بفكرة صكوك الغفران هذه، وفوَّض "يوحنّا تنزل" لتحصيلِ ثمنِ هذه الصكوكِ، لاحتياجِه إلى المال ليكمل كنيسة القديسِ بطرس، إلى جانب بعض التطلعات الأخرى، فكان "يوحنا تنزل" يمر في الشوارعِ والطرقاتِ حاملًا منشور البابا، داعيًا الجميع إلى اغتنام هذه الفرصة بشراء صكوك غفران الخطايا.

وأثناء مروره، كان يسمع ردود أفعال الناس، فسمع أحدهم يقول:

- ليت هذه الصكوك كانت أيام أبي، فقد كان سكيرًا، وكان يحتاج بالتأكيد إلى مثل هذه الصكوك.

ومن جديد، لمعت الفكرة في ذهن الراهب يوحنا فأسرع يقول:

- سوف يُصدِر البابا صكوكًا يمكن من خلالها أن يحصل أبوك المتوفى على الغفران، صكوك تغفر الذنوب الماضيةِ.

وكانت هذه الصكوك ذات فئات مختلفةٍ لغفران الخطايا لمدد مختلفة (١٠٠ يوم ـ ٤٠٠ يوم ... وهكذا)، وكل مدة لها ثمن مختلف!! فكان الشعب يسرع إلى خطف هذه الصكوك من يد "تنزل" ودفعِ النقود اللازمة قبل أن تنفد الكمية.

ومع امتلاء صناديق الكنيسة بالمال، كان الراهب يوحنا يواصل إبداعه في التفكير في أساليب جديدة للحصول على المزيد من المال، فكان يطرح صكوكًا جديدة بمواصفات جديدة. فبعد أن نجحت فكرة غفران الخطايا الماضية، فكَّر "يوحنا": لماذا لا تقدم الكنيسة صكوك غفران لما سوف يأتي أيضًا، فيصبح الغفران لما تقدم وما تأخر من ذنوب؟

نجحت الفكرة، فكان "يوحنا تنزل" ينفذ تعاليم الكنيسة آنذاك ويقول: "إن صكوك الغفران هي أثمن وأشرف هبات الله. تعالوا فأعطيكم رسائل مختومة ختمًا صحيحًا تضمن لكم الغفران حتى للخطايا التي تنوون ارتكابها. إنني لن أرضى بأن أستبدل امتيازاتي بامتيازات القديس بطرس في السماء لأني خلَّصتُ بغفراناتي نفوسًا أكثر بكثير جدًا مما خلَّص الرسول بعظاته. في نفس اللحظة التي ترن فيها نقودك في قاع الصندوق، تنطلق النفس من المطهر وتطير حرة إلى السماء."

كان لهذا التعليم صدى كبير بين الناس، ولما سمع أحد الشرفاء السكسونيين وعظ "تنزل"، لم يقتنع بكل هذا النصب، ولكنه قرر أن يستغل الفكرة لمصلحته، فذهب إلى "يوحنا تنزل" وسأله:

- هل من مغفرة لذنب مستقبلي؟

فقال له يوحنا بكل ثقة:

بالطبع.

فقال الشريف: هل تفهم معنى ذنب مستقبلي؟ ذنب لم أقترفه بعد، أدفع ثمن غفرانه، ثم أفعله وأكون بريئًا.

قال الراهب:

- طالما أنك سوف تدفع ثمن صك الغفران فلم لا؟ الله هو إله الأمس واليوم والغد، ونحن سوف نطلب منه غفرانًا لما سيأتي، لكن لماذا تسأل؟ هل تنوي أن ترتكب خطية في القريب؟

- في الحقيقة، أنا أريد أرتكب خطية وأخاف أن أموت قبل أن أشتري صك الغفران فأموت حاملًا ذنب هذه الخطية، لذلك فكرتُ أن أشتري صك الغفران الآن.

- ونعم الرأي. ماذا تريد أن تفعل؟

- نفسي تتوق للانتقام من أحد الأعداء، فأسرقه بدون أن أنهي حياته، فأعطني صك غفران عن السرقة والضرب بعشرة ريالات.

فقال له الراهب:

- لا، إن ما تقوله كثير، ولا يُعطى صك غفران عن هذا الذنب بأقل من ثلاثين ريالًا.

وابتسم الرجل للكاهن الجشع ودفع ثلاثين ريالًا راضيًا، وأخذ صك غفران موقعًا ومختومًا وموضحًا فيه السبب والخطية التي ينوي أن يفعلها، مع العلم أنه لم يفعلها بعد.

كان صك غفران لخطية سوف تحدث في المستقبل، حيث سيقوم الشريف ورجاله بصفع وتأديب شخص، ثم يأخذون منه نقوده.

كان صك غفران غريبًا، ولكن في الحقيقة ثمنه ثلاثون ريالًا، لذلك، لماذا لا تحصل الكنيسة على هذا المبلغ، طالما أن الفاعل سوف يفعل فعلته في كل الأحوال؟

أخذ "تنزل" النقود فرحًا، وأضافها إلي بقية التحصيل. وغادر الشريف، أما "يوحنا" فبقي في الأبرشية يومين آخرين ليجمع النقود، ثم جمع كل ما حصل عليه من بيع الصكوك، وقرر العودة إلى داره.

لكن في الطريق، تربص به ذاك الشريف هو وأعوانه، فوثبوا عليه وصفعوه وضربوه لينال "علقة موت"، وأخذوا منه صندوقًا مملوءًا من النقود التي جمعها من بيع صكوك الغفران!

فما كان من "يوحنا تنزل" إلا أن شكاهم إلى المجلس.

وما أن مثل الشريف إلى المجلس حتى قدم لهم صك الغفران، وقال: "لقد فعلتُ هذا بالفعل، ولكني قد حصلتُ على الغفران، فكيف أكون بريئًا أمام عدالة السماء، وتقاضيني عدالة الأرض؟ إنني بهذا الصك بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب."

وعندما قرأ القاضي الصك وتأكد من صحة أختامه، أعلن براءة الشرف أمام الجميع وأطلق سراحه، فالذي تبرئه محكمة السماء لا يمكن أن تدينه محاكم الأرض.

انتهت القصة، وهي توضح هنا عن حالة من الرغبة المحمومة في جمع المال لكي تصبح الكنيسة غنية، وقد اضطرت الكنيسة أن تعلِّم تعاليم "خرافية" تصل إلى حد "النصب" لكي تحصل على المال.

وبدا الأمر كما لو أن سيد الكنيسة وإلهها هو المال، أما الله جل جلاله فهو مجرد غطاء للوصول إلى الهدف الحقيقي، وهو المال.

والآن، ونحن في هذا العصر، إلى أي مدى ننتقل ما بين الدروشة في العبادة وتوجيه اتهامات سلبية لمنْ يفكر في المال، وبين عبادة حقيقية ورسمية للمال، مع اتخاذ الله كغطاء شرعي للحصول على هذا المال؟

الفصل الثالث

لنكتشف هوية الإله الآخر

في البداية، لنتأمل أولًا في هوية الإله الذي نعبده. عندما نتخذ قرارًا بعبادته، ما هي شروط هذه العبادة؟ دعونا نستعرض ما ورد في سفر يشوع بشأن عبادة الله:

"فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: "لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ إِلهٌ قُدُّوسٌ وَإِلهٌ غَيُورٌ هُوَ. لاَ يَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ. وَإِذَا تَرَكْتُمُ الرَّبَّ وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً غَرِيبَةً يَرْجِعُ فَيُسِيءُ إِلَيْكُمْ وَيُفْنِيكُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ". فَقَالَ الشَّعْبُ لِيَشُوعَ: " لاَ. بَلِ الرَّبَّ نَعْبُدُ". فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: "أَنْتُمْ شُهُودٌ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ قَدِ اخْتَرْتُمُ لأَنْفُسِكُمُ الرَّبَّ لِتَعْبُدُوهُ". فَقَالُوا: "نَحْنُ شُهُودٌ". "فَالآنَ انْزِعُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي فِي وَسَطِكُمْ وَأَمِيلُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ". فَقَالَ الشَّعْبُ لِيَشُوعَ: "الرَّبَّ إِلهَنَا نَعْبُدُ وَلِصَوْتِهِ نَسْمَعُ"." (يشوع ٢٤: ١٩-٢٤).

مواصفات الإله الذي تعبده:

١. يسيطر على أفكارك ويوجهها
٢. يشكل الأساس الأول لثقتك
٣. يمثل المرجعية الأولى لحل مشاكلك
٤. يكون المحور الرئيسي لاهتمامك

ويُخبرنا يشوع في سفره أن هذه الصفات إما أن تكون للرب الإله القدير، المخَلِّص، واهب الحياة، أو لتلك الآلهة الغريبة. وعليه، عليكم أن تختاروا مَنْ تعبدون. أما المسيح، فيوضح لنا في الموعظة على الجبل كيف يمكن لإله المال أن يسيطر على القلوب، فيقول عنه:

"لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ."

"لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. "لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ انْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟" (متى ٦: ١٩-٢١، ٢٤-٣٠)

والسؤال هنا هو :

هل المطلوب منا أن نحيا باعتماد كامل على الرب الإله، لدرجة أن نصبح أشبه بالدراويش، نبيع ما لدينا من ممتلكات، ونترك للرب أن يتكفل بجميع احتياجاتنا؟ وإذا لم نفعل ذلك، هل نصبح كمن يعبد سيدين، مما يُعد مكروهًا عند الرب؟ وهل هذا المنطق يبرر صحة ما قام به الرسول برنابا حين باع حقله وأعطى الثمن للفقراء؟

في الواقع، الأمر يحتاج إلى موازنة دقيقة في التفكير، ومن خلال دراسة ما أمر به الرب الإله في الكتاب المقدس سنفهم الأمور على النحو الصحيح.

– كل قرار لا بد أن يأتي بعد دراسة متأنية من كل الجوانب، أما إذا افتقد القرار لهذا التروي، فقد يؤدي إلى حالة من الدروشة، أو قد يُفسَّر كحب للعالم الحاضر.

ولقد اخترتُ لهذا الكتاب اسم "الإله الآخر" لأننا بحاجة ماسة إلى فهم طبيعة تعاملنا مع المال. كيف يمكن أن يتحول المال إلى إله يُعبد؟ وكيف يمكن استخدامه كأداة استثمار بنّاءة تخدم ملكوت الله؟

منذ نشأة الكنيسة، كانت نظرتها إلى المال مليئة بالحيرة. وقد أدى التعليم السطحي دائمًا إلى انحرافها عن السلوك "الذي يتفق مع قصد الله"، سواء في ممارسات مثل بيع الحقول، أو في التجاوزات الكبرى المتمثلة في ما يُعرف بصكوك الغفران.

لذا، من الضروري أن نبدأ في تعليم الكتاب المقدس بأسلوب صحيح ومتكامل، ولنعد إلى الجذور.

خطوات الحياة على الأرض:

آدم وقايين وهابيل... والبدايات

منذ البداية، يوصي الله آدم بالاعتناء بالجنة التي وضعه فيها: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا" (تكوين ٢: ١٥).

كان العمل، منذ البداية، أولوية أساسية في حياة الإنسان. وعندما خرج آدم من الجنة، وضع الله وصفًا دقيقًا لما سيواجهه، فقال: "لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (٣: ١٧-١٩)؛ فالعمل جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، ولا يمكن أن نعتبر أن الإنسان الذي يسعى لكسب الرزق يعبد إلهًا آخر.

بدأت الحياة تتطور، وكذلك تطور العمل فيها، حتى وصلنا إلى عصر أيوب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب. في ذلك الوقت، كان الرعي هو النشاط السائد لتلك العائلات، وكان لاهوت الرخاء هو الفكر المسيطر، حيث كان امتلاك الثروة يُعتبر دليلًا على الرضا الإلهي، كما كان الرضا الإلهي يُقاس بقدرة الإنسان على تنمية ثروته. يصف لنا الكتاب كيف خرج إبراهيم من أرضه، فباركه الله بثروة عظيمة، وكذلك إسحاق. أما يعقوب، فقد كان مقياس الرضا الإلهي لديه يُقاس بنمو ثروته، حيث كان هذا هو المقياس

السائد في ذلك الزمن. ونرى هذا أيضًا في حياة أيوب، إذ خضع لتجارب شديدة فقد فيها كل شيء، ولكن بعد أن اجتاز محنته، كانت العلامة الرئيسية لرضا الله عنه هي استعادته لكل ما فقده، بل وبصورة مضاعفة.

إذًا، كان العمل والكسب في هذه المرحلة علامة من علامات الرضا الإلهي، ولم تُعتبر الثروة إلهًا منافسًا لله. وربما يعود ذلك إلى بساطة الحياة وعدم تعقيدها، بالإضافة إلى اعتماد الإنسان في جمع ثروته على ما يقدمه الله من خيرات مثل الشمس والمطر والعشب. فكل شيء كان يعود إلى الله، وبالتالي كان الإنسان الذي يعبد الله مقتنعًا تمامًا بأن كل ما يملكه هو هبة من الله، وبالتالي لم تكن هذه الأمور مثارًا للجدل أو القلق.

لنتقدم للأمام لنرى زمن موسى، حيث بدأ الشعب يشعر بالتعب من العمل والجوع، وينظر إلى مستوى آخر من المعيشة، فتتولد لديهم الطموحات والتطلعات نحو الأفضل.

الشعب في مصر

في مصر، تغير حال شعب إسرائيل تمامًا؛ فلم يعودوا مجرد رعاة للغنم. فعلى الرغم من أن يوسف قد هيأ لهم مكانًا مناسبًا للرعي، إلا أنه بعد فترة من الزمن، وفي عصر موسى، تبدل المشهد. بدأ الشعب يعمل في صناعة الطوب، مُرغمًا على ذلك. "فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعَمْسِيسَ" (خروج ١: ١١)

هل كان هذا التكليف مناسبًا لرعاة لا يفهمون شيئًا؟ أم أن حياة الحضر جذبت الشعب، فبدأوا يتعلمون كيف يبنون ويصنعون، ليصبحوا عمالًا يمكن تسخيرهم؟

في الحقيقة، القارئ المتأمل بين السطور سيكتشف أن شعب إسرائيل الذي عاش في مصر لعدة قرون لم يكن هو نفسه الذي دخلها. فقد أصبح الذهب يجذب انتباههم ويثير اهتمامهم، وأصبحت لديهم خبرة واسعة في صهر الذهب وصناعة التماثيل الذهبية. والدليل على ذلك هو نجاحهم في صناعة تمثال البعل. كما أن سلبهم للذهب قبل الخروج يوضح أن الذهب أصبح أولوية في حياتهم.

وهنا نجد أول ظهور للإله الآخر، والذي تجسَّد في شكل تمثال ذهبي ضخم.

وصار على شعب إسرائيل أن يذكِّر نفسه بين الحين والآخر ويختار مَنْ يعبد: الله أم الآلهة الغريبة؟

ولكن يبقى السؤال: هل العمل الذي يؤدي إلى الثراء هو نفسه الإله الآخر؟

لنتقدم للأمام.

فترة المن والسلوى

أربعون سنة كانت فترة انتظار في أرض لم يعتبرها الله ملكًا مطلقًا لإسرائيل. يلفون ويدورون فيها في انتظار أن يموت الجيل العاصي المتذمر. وفي هذه الفترة، كان الله يعول الشعب كما يعول الأب طفله غير القادر على العمل.

مقياس العبادة (السبوت والطقوس والعطايا)

متى نسلك سلوك برنابا؟

الفصل الرابع

بين عبادة المال والتخصص في دراسته

تمهيد

فكِّر معي، هل أولئك الذين يكرسون أوقاتهم لدراسة سوق المال والعمل في مجال الاستثمار يُعدّون عبيدًا للمال؟ أم أنهم يمارسون مهنتهم؟ هؤلاء الذين يمنحون الاستثمار المالي جزءًا كبيرًا من تفكيرهم، ويسهمون في تقديم أبحاث ودراسات للمجتمع، ويعملون بجد واجتهاد لتحسين مستواهم المعيشي والارتقاء بالمستوى المجتمعي، هل يمكننا وصفهم بأنهم يعبدون المال؟

قبل أن أشاركك وجهة نظري، دعني أقدم لك نموذجًا لرجل من روّاد المال المخضرمين: وليم كولجيت.

وليم كولجيت (١٧٨٣-١٨٥٧)، مؤسس شركة كولجيت لمعجون الأسنان، التي انطلقت عام ١٨٠٦، يُعَد مثالًا يُحتذى به في العمل والالتزام بالقيم الأخلاقية.

هذا الرجل بدأ حياته عاملًا بسيطًا في مصنع للصابون في نيويورك حين كان عمره ٢١ عامًا. وقد أرسله إلى هذا المصنع شيخٌ تقي معروف بحرصه على مساعدة الشباب، وأوصاه قائلًا: "سأرسلك إلى مصنع للصابون في نيويورك، كن أمينًا في موازينك، وأعطِ الله حقه كاملًا في كل دولار تكسبه".

وبالفعل وضع وليم كولجيت هذه النصيحة نصب عينيه. وعلى الرغم من محبته الشديدة للرب، لم يمنعه ذلك من السعي لتطوير عمله والإبداع فيه. وعندما حصل على أول دولار من عمله في المصنع، خصص عشرة سنتات (عُشر دخله) لأعمال الخير، قبل أن يستخدم ما تبقى لمصروفاته الشخصية.

وفي الأيام التالية، ظل ملتزمًا بعهوده: الأمانة في عمله ومعاملاته، والدقة في أدائه، إعطاء حق الله أولًا في كل ما يكسبه.

لم يعتبر وليم كولجيت أن عمله أو المال الذي يكسبه بمثابة إله يُعبد، بل كان هدفه الأول هو السعي للمكسب مع الحفاظ على أولوياته التي تضع الله في المقدمة. كان كل سنت يكسبه شاهدًا على أمانته في العمل وإخلاصه في أداء واجباته.

وقد أثمرت هذه الأمانة، فأصبح كولجيت شريكًا في المصنع، ثم مالكًا للمصنع. ومع ازدياد مكاسبه، ظل ملتزمًا بتخصيص عُشر أرباحه لأعمال الخير والرحمة. ومع الوقت، لاحظ كولجيت أن هناك فائضًا من المال لا يحتاج لإنفاقه على نفسه، فقرر توسيع دائرة عطائه، وتعهد بتخصيص خُمس أرباحه لأعمال الخير. وقد نفذ هذا القرار وظل ملتزمًا به.

ومع زيادة مبيعاته ونجاحه الباهر، لم يفكر في الادخار بقدر ما فكر في العطاء، فارتفعت نسبة تبرعاته إلى ١٠/٣، ثم وصل إلى تخصيص نصف أرباحه لأعمال الخير. وظل النجاح يرافقه، مما يثبت أن الأمانة والعطاء يجلبان التوفيق والبركة.

وفي نهاية الطريق الذي رسمه لنفسه، وجد وليم كولجيت الرجل الأمين أنه قد حقق جميع أهدافه في الحياة. وفي يوم من الأيام، استدعى مدير مصانعه وقال له: "هذا المصنع سيستمر في العمل بحيث يغطي نفقاته ويُجدد نفسه بنفسه، أما الأرباح فقد أصبحت من حق صاحب المصنع الحقيقي. ادفع كل شيء لأعمال الخير، فلم يعد لي حق في أي شيء بعد الآن."

لم تكن الأموال يومًا قادرة على السيطرة على اهتمامه، لكنها في الوقت نفسه لم تُفقِده شغفه بالنجاح أو حماسه لتحقيق الإبداع في عمله.

والسؤال هنا: هل هذا الرجل الذي صار ثريًا كان عبدًا للمال؟ والسؤال الأهم: لو أنه لم يسلك هذا السلوك، واكتفى بأن يكون أمينًا، يدفع عشوره، ويهتم بتجارته، هل كان يمكن اعتباره عبدًا للمال؟

في رأيي، لا توجد مقاييس مطلقة للحكم على ذلك. الفكرة تكمن في اتجاه القلب ونوايا الإنسان. أن تتقن عملك هو واجب عليك، وأن تبدع فيه هو انعكاس لجمال الصورة الإلهية التي خُلقت عليها.

أنا أعتقد أن المسيح، عندما كان نجارًا، كان ماهرًا في عمله، وربما حقق عائدًا جيدًا بفضل مهارته. ولكن ما يميز الإنسان ليس مقدار ما يكسبه، بل كيف ينفقه وكيف يستثمره، بما يُظهِر مدى ارتباطه والتصاقه بالآب السماوي.

قد يكون الإنسان فقيرًا، ولكن دائرة اهتمامه تدور حول المال، فيبدو كأنه المنقذ لكل مشاكله. هذا الحلم، في جوهره، يُعد نوعًا من عبادة المال، لأنه وضع ثقته فيه رغم عدم امتلاكه له. وعلى الجانب الآخر، قد يكون الإنسان غنيًا، مبدعًا في مهنته، وبسبب مهارته يزداد غناه. ومع ذلك، إذا كان رجاؤه وأمانه لا يعتمدان على المال، بل على الرب، فإنه يحقق توازنًا حقيقيًا بين عبادته لله وبين إتقانه لعمله.

أحمق هو كل إنسان يُخرِج الله من دائرة حياته ويجعل ذاته محور اهتمامه، معتقدًا أن المال سيجلب له السعادة، أو يمنحه القيمة والمعنى للحياة، أو يوفِّر له الشعور بالأمان. فالممتلكات وحدها، مهما كثرت، لن تملأ فراغ الروح. إن لم يكن الله هو مركز الحياة، سيعيش الإنسان في فراغ داخلي ويموت غارقًا في تعاسة لا مفر منها.

إذًا، عبادة المال تتجلى في أن يكون محور تفكير الإنسان ومصدر رجائه وأمانه. فالمال، في حقيقته، ليس سوى نتيجة طبيعية لدور الإنسان في الحياة، دور يمارسه من خلال أعماله ومواهبه وهواياته. المال ليس غاية، بل وسيلة تحقق احتياجات الإنسان وتُبرِز إبداعه، دون أن يكون هو الهدف أو المعنى الأساسي للحياة.

الرسول برنابا لم يخطئ عندما باع ممتلكاته ووضع قيمتها عند أقدام الرسل، لأنه قام بذلك بروح التخلي والإيثار لعلاج مشكلة حقيقية قائمة في ذلك الوقت. لم يكن الخطأ في الفعل نفسه، بل في الفهم اللاهوتي المرتبط بمجيء المسيح، وهو أمر لا يُلام عليه. لقد استثمر برنابا حقله في دائرة الملكوت بطريقة جميلة تعبّر عن تحرره من سيطرة الأملاك والمال عليه، وهذا هو جوهر فن الاستثمار الحقيقي.

لو كان برنابا يعلم أن الكنيسة ستستمر لأجيال طويلة، وربما استعان بمستثمر محترف لإقامة مشروع يدعم الكنيسة ويوفر فرص عمل ودخلًا ثابتًا للأعضاء، لكان بذلك استغل حقله بصورة أكثر استدامة. لكن، في الحالتين، يبقى قلب برنابا ثابتًا على الهدف الأسمى، وهو خدمة الملكوت، دون أن تكون الأملاك عقبة في طريقه.

والدليل على هذا يتضح في قصة حنانيا وسفيرة. هذه العائلة أرادت أن تظهر أمام الكنيسة والرسل بمظهر المعطي الكريم، بينما لم يكن العطاء نابعًا من قلوب مخلصة أو شغلها الشاغل هو العطاء. لكن الرسول بطرس، بإرشاد من الروح القدس، كشف نواياهما الخفية وفضح قلبهما الشرير.

السلوك الخارجي قد يبدو واحدًا، ولكن الفرق يكمن في نية القلب. لولا فضح الخطية، لكانت الكنيسة قد نظرت إلى حنانيا وسفيرة كما نظرت إلى برنابا، باعتبارهما مثالًا للعطاء والإيمان. وهذا يشبه ما يحدث في الكنيسة اليوم، حيث يستر المسيح، برحمته، أخطاء المؤمنين، مما يجعلنا نعيش في نعمة قد تغطي، أحيانًا، على الحقائق التي يحملها القلب.

الكنيسة تحتاج إلى متخصصين في مجال المال، أشخاص يكون هذا هو مجال عملهم الأساسي، ولكن بدافع يتجاوز الربح الشخصي، وهو تمجيد المسيح. هذه معادلة صعبة، لكنها ليست مستحيلة. عبادة الله تشمل أيضًا التخطيط المالي السليم، حيث يصبح جمع المال وسيلة لدعم معيشة أفضل وخدمة المجتمع إلى أن يأتي المسيح.

منذ اللحظة الأولى لتأسيس الكنيسة، ظهرت بوضوح أهمية التعامل الحكيم مع المال. ومع ذلك، كانت هناك قلوب مُحبة للرب لكنها أخطأت في إدارة المال، مما أدى إلى نتائج سلبية مثل ظهور كنيسة فقيرة تعاني من نقص الموارد.

طابيثا وأعمالها: بذرة مشروع ضخم توقف بسبب عدم وضوح الرؤيا

"وَكَانَ فِي يَافَا تِلْمِيذَةٌ اسْمُهَا طَابِيثَا، الَّذِي تَرْجَمَتُهُ غَزَالَةُ. هذِهِ كَانَتْ مُمْتَلِئَةً أَعْمَالًا صَالِحَةً وَإِحْسَانَاتٍ كَانَتْ تَعْمَلُهَا. وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَّهَا مَرِضَتْ وَمَاتَتْ، فَغَسَّلُوهَا وَوَضَعُوهَا فِي عِلِّيَّةٍ. وَإِذْ كَانَتْ لُدَّةُ قَرِيبَةً مِنْ يَافَا، وَسَمِعَ التَّلاَمِيذُ أَنَّ بُطْرُسَ فِيهَا، أَرْسَلُوا رَجُلَيْنِ يَطْلُبَانِ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَوَانَى عَنْ أَنْ يَجْتَازَ إِلَيْهِمْ. فَقَامَ بُطْرُسُ وَجَاءَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا وَصَلَ صَعِدُوا بِهِ إِلَى الْعِلِّيَّةِ، فَوَقَفَتْ لَدَيْهِ جَمِيعُ الأَرَامِلِ يَبْكِينَ وَيُرِينَ أَقْمِصَةً وَثِيَابًا مِمَّا كَانَتْ تَعْمَلُ غَزَالَةُ وَهِيَ مَعَهُنَّ. فَأَخْرَجَ بُطْرُسُ الْجَمِيعَ خَارِجًا، وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْجَسَدِ وَقَالَ: يَا طَابِيثَا، قُومِي! فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا. وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ، فَنَاوَلَهَا يَدَهُ وَأَقَامَهَا. ثُمَّ نَادَى الْقِدِّيسِينَ وَالأَرَامِلَ وَأَحْضَرَهَا حَيَّةً. فَصَارَ ذلِكَ مَعْلُومًا فِي يَافَا كُلِّهَا، فَآمَنَ كَثِيرُونَ بِالرَّبِّ" (أعمال الرسل ٩: ٣٦-٤٢)

عادةً ما نركز على معجزة إحياء طابيثا من الموت عندما نقرأ هذه القصة، لكنها في الحقيقة آخر جانب أود التأمل فيه. لو وضعتُ نفسي مكان طابيثا، ربما كنتُ سأعتبر ما فعله بطرس أكبر "مقلب" يمكن أن يحدث. فقيامتها كانت نعمة عظيمة للفقراء الذين كانت تخدمهم، لكنها بالنسبة لها كانت عودة من المجد الذي تذوقته إلى حياة مليئة بالتعب والمسئوليات.

الحياة الأخرى أفضل بلا شك من مواصلة السير في هذا العالم المليء بالتحديات. ولكن ما فعله بطرس، بإرشاد الروح القدس، يوضح أن مهمة طابيثا على الأرض لم تكن قد اكتملت بعد. قد يكون التعب مستمرًا، لكن

الغاية الإلهية تتجاوز راحتنا الشخصية، وتكشف أن دور طابيثا في خدمة الكنيسة والمجتمع كان لا يزال ضروريًا.

لماذا؟

لأنها عملت دون تلمذة حقيقية. لقد علَّمنا المسيح أن التلميذ لا يكتفي بأن يعيش إيمانه شخصيًا، بل يجب عليه أن يتلمذ آخرين. التلمذة ليست مجرد خدمة عفوية أو عمل فردي، بل هي عملية منظمة تهدف إلى بناء حياة الآخرين روحيًا.

المفهوم الشائع للتلمذة الذي يقتصر على جمع مجموعة من المؤمنين الجدد، وفتح الكتاب المقدس لتعليمهم الصلاة والمعيشة مع المسيح، هو بداية جيدة، لكنه يظل تلمذة ناقصة. التلمذة الحقيقية تتطلب متابعة عميقة وشاملة، تشمل ليس فقط التعليم الروحي، بل أيضًا تمكين الآخرين ليصبحوا بدورهم تلاميذ قادرين على التأثير في مجتمعهم وإحداث تغيير حقيقي.

المؤمن الحقيقي هو مَنْ يضع الله في قلبه رؤية وفكرة، ثم يبدأ العمل بهما بإيمان وإخلاص. وهذا ما فعلته طابيثا بقلب نقي ومتواضع. لم تسعَ إلى الترويج لما كانت تقوم به، ولم تحاول جذب الأنظار إلى أعمالها، بل كانت تخدم بصمت وإخلاص.

لكن ما هو مخفي عن الأنظار لا يبقى خافيًا إلى الأبد. وعندما جاء الوقت المناسب، كشف الله للجميع ما كانت طابيثا تفعله، لتصبح مثالًا حيًا للعطاء الصادق الذي لا يحتاج إلى دعاية أو شهرة.

متى؟

عندما ماتت طابيثا، توقفت خدمتها فجأة، وأصبحت كنيسة المسيح في حاجة ماسة إلى طابيثا أخرى، ولكن لم تكن هناك بديلة. السبب؟ لأن طابيثا لم تُعلِّم أحدًا، ولم تنقل معرفتها أو قلبها الخدوم للآخرين. كان من الأفضل لطابيثا أن تُخصص وقتًا لتدريب أولئك الذين تخدمهم، لتعليمهم ما كانت تقوم به، وتنقل لهم روحها وقلبها في الخدمة.

لو فعلت ذلك، لتحولت من شخص خادم إلى مؤسسة خادمة، ولخرج من تحت مظلتها متخصصون قادرون على استمرار العمل بعد رحيلها. علاوة على ذلك، كان ينبغي عليها أن تتحدث بشغفها ورؤيتها لمن يمتلكون المال، ليكوِّنوا فريقًا داعمًا يساند الخدمة ماديًا، فيضمن استمراريتها بغض النظر عن وجودها.

ما معنى هذا؟

معناه أن الخدمة تحتاج إلى أشخاص متفرغين يعبدون الله بوعي وإخلاص، ويدرسون بعناية وحرفية كيفية النهوض بالفقراء وإحداث تغيير حقيقي ومستدام في حياتهم.

كان هذا هو احتياج الكنيسة في زمن طابيثا، لكنها لم تكن تدرك ذلك. لذا اضطرت لمواصلة حياتها في خدمة الآخرين، دون أن تُخطط لما يمكن أن يضمن استمرارية هذا العمل بعد رحيلها. طابيثا معذورة، فقد عملت بما عرفت ووفق إمكانيات عصرها.

ولكن في عصرنا الحالي، للأسف، يتكرر نفس الخطأ. نرى مؤسسات عظيمة تُقدم أعمالًا رائعة لخدمة المسيح ومجده، لكنها تتوقف عند رحيل مؤسسها إلى المجد أو عند تقاعده. هذه المؤسسات تفتقر إلى رؤية تضمن استمرارية العمل وتوسعه عبر الأجيال، وهو ما يجعل أثرها ينتهي بانتهاء وجود الشخص الذي بدأها.

وأحيانًا نجد أن مؤسس خدمة ما لا يستطيع أن يتقاعد، لأنه لم ينجح في إعداد صف ثانٍ قادر على تحمل المسئولية وإدارة المؤسسة. وهذا، في رأيي، يُعد نوعًا من الفشل، لأن الله منحنا نموذجًا تحذيريًا واضحًا في قصة موت طابيثا وعودتها للحياة مجددًا. لم يكن هذا الحدث مجرد معجزة، بل رسالة تُظهِر أهمية تلمذة الآخرين وتحضيرهم للمسئولية.

طابيثا كانت البداية، لذا هي لا تُلام، لأنها لم تكن تعلم أهمية هذا الأمر في ذلك الوقت. لكننا اليوم، ككنيسة، نُلام بشدة، لأننا رأينا النموذج وتعلَّمنا منه، ومع ذلك نجد أنفسنا نكرر الأخطاء نفسها.

هذه الرسالة موجهة لكل أصحاب الرؤى ومؤسسي المؤسسات الكنسية الكبرى: لا تدع رؤيتك تموت برحيلك. قم بتعليم متخصصين في الإدارة، والاستثمار، وجمع الدعم المالي، ليضمنوا استمرارية رؤيتك وخدمتك. شارك معرفتك وخبراتك مع الآخرين، ولا تبخل بها أو تخشى من أن يتأثر دورك أو مكانتك أثناء حياتك.

وثق أنك إذا واجهت تغييرات أو تزعزعت منارتك، فهذا ليس ضعفًا، بل قد يكون دعوة إلهية لتتحمل مسئوليات أعظم. لذلك، كن شجاعًا في تعليم الآخرين، وتذكر أن الأمانة في إعداد الأجيال القادمة ليست تهديدًا، بل امتدادًا لرؤيتك.

إذا كنت تخشى تعليم الآخرين خوفًا على خدمتك أو رؤيتك أو مؤسستك، فقد تحولت هذه الخدمة أو الرؤية إلى إله آخر في حياتك، إله تأسر نفسك بعبادتها دون أن تدرك. في هذه الحالة، عليك أن تتحرر من هذا القيد، وأن تعود لعبادة المسيح وحده بثقة تامة.

لا تخف على مستقبل رؤيتك، لأن الله هو الضامن الحقيقي لها.

هل ما أقوله واضح؟

الفصل الخامس

نصوص غير موضوعة في سياقها

كان المسيح يجول ويقول تمامًا ما كان يقوله مَنْ أعد له الطريق. كانت الرسالة التي أطلقها الاثنان واحدة، وهي: "تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ". كان المسيح ينتقل من فكرة إلى أخرى، وفي كل مرة كانت الأولويات هي ملكوت السموات، حتى أنه قال: "اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ".

فما الذي كان يعنيه المسيح، ومن قبله يوحنا المعمدان، باقتراب الملكوت؟ في الواقع، الاقتراب هنا ليس بمعنى الزمن، ولكنه يعني أنه أصبح قريب المنال، وهذا بسبب ما كان يسوع يعتزم أن يفعله على الصليب، وهو ما نبه إليه يوحنا المعمدان حين قال: "هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا ١: ٢٩).

لكن هذا الأمر قد يسبب تشويشًا لدى المؤمن، حيث إن الوصية تدعوني لنبذ المال والتركيز على الملكوت الذي اقترب، بل وأن أعيش كراهب متوحد لا أفكر إلا في المأمورية العظمى، وذلك لأن نهاية كل شيء قد اقتربت. لكن المفهوم هنا هو ملكوت زمني، ولذلك يجب علينا أن نفهم السلوك الذهني الذي ينبغي أن نعيشه في علاقتنا بالله وعلاقتنا بالقريب. ربما عندما نحاول شرح بعض الأفكار الرائعة التي قد تكون مشوشة في سلوكنا، نتمكن من العودة إلى حالة الاتزان المطلوبة.

لنبدأ بمراجعة بعض الفقرات الكتابية والتعليق عليها، ثم نختتم الفصل بمحاولة وضع مفهوم لما يجب أن نعيشه.

إعادة شرح تصريحات يسوع حول كل ما يتعلق بالمال:

(١) الغني الغبي

في الواقع في مجتمعنا، أصبح الناس يظنون أن جمع المال سيكفل لهم حياة أفضل، بينما يقدم لنا الرب يسوع نموذج قصصي عن الغني الغبي الذي جمع المال، لنقرأ القصة كما قالها المسيح:

"وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا: إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَتِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي! فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ هكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا للهِ" (لوقا ١٢: ١٦-٢١).

ومن هذا النص بدأ وعاظنا في تقديم تعليم آخر، وهو أنه لا ينبغي أن نهتم بالأعمال الأرضية لأن لنا دورًا آخر هو ملكوت السموات.

دعني اسأل:

هل بناء مخازن جديدة بعد امتلاء المخازن القديمة يُعتبر خطية ينبغي أن يُحَاسَب عليها ذلك الغني؟

الإجابة هي: لا، فنحن نرى أن يوسف في سفر التكوين قد بنى مخازن كبيرة لكي يحتفظ بالغلال دون أن تفسد، وأعتقد أنه كان حريصًا على بناء المخازن في مكان جاف وبطريقة علمية حتى يحافظ على الغلال لمدة سبع سنوات كاملة.

إذًا، نحن نقدم تعليمًا لا يقصده الرب يسوع، حيث إن كان كلام المسيح واضح، فهو يحذر مما يلي:

١- الطمع.
٢- الاعتقاد بأن حياة الإنسان تكمن في ماله.
٣- الاعتقاد بأن الرجاء والطمأنينة مصدرهما الإكثار من جمع المال.

ولكننا بالغنا في تفسير المثل، وصعَّدنا الأمر حتى وصلنا إلى أن جمع المال خطية، وهذا أثَّر كثيرًا في سلوكيات المؤمن، وأيضًا في نظرتنا لمن يزداد غنى ويسعى للعمل بجد واجتهاد أكثر.

إذًا، لقد حمَّلنا النص أكثر مما يريد أن يقوله، لأنه بمنتهى البساطة كان يجب على ذلك الغني أن يبني مخازن جديدة. قال أحدهم إن الغني كان من المفترض أن يعطي الزيادة غير المعتادة للآخرين بدلًا من بناء مخازن جديدة. وفي الواقع، العطاء لا يتعارض من بناء المخازن، فهو كان يجب أن يبني مخازن يضع فيها محصوله، ثم يدرس طرق العطاء. ففي جميع الأحوال، العمل يثمر، والثمار تكثر، والمخازن تزداد اتساعًا. ونحن لا نفترض أن الثمار ستقل في الأعوام القادمة، بل يجب أن يكون لدينا الطموح للعمل على ثبات تلك الزيادة واستمرارها.

هل هذا يجعلنا نعبد ذلك الإله الآخر؟ كلا، فنحن نعتني بعملنا، ونعبد الله. الغني عبد الإله الآخر عندما ثبَّت عيونه على المال، وهذا ما أسماه المسيح بالطمع، وأيضًا اعتقد أن حياته تكمن في ماله، وجعل رجاءه ومصدر طمأنينته هو المال، ولكن ليس من المفترض أن تكون هذه صفات كل مَنْ يعمل ويجمع المال نتيجة عمله.

(٢) الموعظة على الجبل

أما في الموعظة على الجبل، والتي نحاول أن نفهم بعض تفاصيل تعليمها، فيقول الرب لنا أيضًا:

"لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ

تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ، يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟ فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ." (متى ٦: ٢٤-٣٣)

في هذا النص، توجد كلمة مفتاحية على أساسها نفهم النص تمامًا وهذه الكلمة المفتاحية هي: الاهتمام.

والاهتمام هو بداية الانشغال بما نهتم به، وعندما يأخذ هذا الانشغال حيزًا كبيرًا من التفكير يصبح عبادة، لأنه يأخذ من الاهتمام الذي كان من المفترض أن ينصب في شيء واحد وهو ملكوت الله.

لنتذكر أن عبادتنا لله مرتبطة بالمأمورية العظمى، وهي اقتراب الملكوت. ولكن لا بد أن نعي أن عبارة "لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ" لا تعني عدم الاكتراث بما يجري حولنا وعدم المبالاة به، بل تعني ألا نقلق وألا تساورنا الشكوك في عناية الله فينا، كما أن تلك العبارة لا تعلّمنا أن نكون متواكلين أو كسالى أو بطالين، لأن العبد البطال يُطرح إلى الظلمة الخارجية، حيث يكون البكاء وصرير الأسنان (متى ٢٥: ٣٠).

والله يريدنا أن نكون متّكلين عليه في جميع أعمالنا، وقد شبَّه ذلك بما تقوم به طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد والرب يقيتها، ولكن كيف يقيتها الله؟ هو لا يضع الحبوب في مناقيرها، بل في حقيقة الأمر هذه الطيور تسعى بتعب كثير وجهد بالغ مع الاتكال الكامل على الله. إنها تجتهد بدون قلق ودون تكاسل، ولسان حالها يصلي مثلما نصلي نحن: "خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا ٱلْيَوْمَ"، والفارق هو الاجتهاد مع عدم القلق.

إذًا، علينا أن ننظر إلى الله ونثق في محبته التي يصفها يوحنا الإنجيلي بقوله: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣: ١٦).

عبادتنا الحقيقية ملخصها في وصية المحبة المذكورة في العهد القديم، والتي أعاد صياغتها الرب يسوع عندما أجاب الفريسي الذي سأله قائلًا: "يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟" فكانت الإجابة هي ما قاله يسوع: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ" (متى ٢٢: ٣٧-٤٠).

هذه المحبة المتبادلة بيننا وبين خالقنا، والتي نبرهن على صدقها بمحبتنا لقريبنا، تولّد الطمأنينة في قلوبنا، وتقوي إيماننا به تعالى، وثقتنا بعنايته الربانية بعبيده البشر، فلا نطلب إلا ملكوت الله وبرّه، مؤمنين بأن كل احتياجاتنا الجسدية الضرورية تزداد لنا إتمامًا لوعده الإلهي.

ولكن كما أن الطير يحصل على احتياجاته بالتعب معتمدًا على الله، نحن أيضًا علينا أن نحصل على كل احتياجاتنا الجسدية بالكد والتعب، معتمدين على الله.

إن ملكوت السموات أو ملكوت الله هو المجتمع الذي تتم فيه مشيئة الله. وملكوت الله يتطلب خضوع الإرادة والفكر والقلب له تعالى، وتكريس الحياة للمسيح يسوع ربنا. إننا عندما نصلي إليه قائلين: "لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ" إنما نسأله أن يساعدنا على اتخاذ القرار الحاسم بالخضوع لإرادته، ولذلك نكرر الطلبة بعبارة أخرى قائلين: "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ"، فملكوت الله هو حياة يحياها المؤمن في البر والتقوى والقداسة ومخافة الله، فيعيش بسلام مع الله ومع نفسه ومع أخيه الإنسان.

إذًا، عدم الاهتمام لا يمنع الكد والتعب من أجل تسديد الاحتياجات الجسدية لي ولسائر الكنيسة أيضًا، فالكنيسة هي مجتمع مشترك متعاون، فيه يساعد القادر غير القادر. وفي النهاية، تظل عيوننا متجهة إلى الله رغم قضائنا أوقاتنا في الجمع وتسديد الاحتياجات.

(٣) أولويات الإنفاق (كسر قارورة الطيب)

أوضحت عدة مواضع في الإنجيل أن المسيح في خدمته كان يهتم بخدمة الفقراء. ويخبرنا لوقا الإنجيلي أن النساء كن يخدمن يسوع منذ البداية. وكان يسوع المسيح يقول لتلاميذه: "أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا". ومن هنا يتضح أن خدمة الفقراء وتسديد احتياجاتهم كانا أمرًا يفعله يسوع حتى وإن لم يكن مذكورًا في الأناجيل صراحةً. ومن الملاحظ أيضًا أن الأناجيل أخبرتنا أن المسيح لم يكن له أين يسند رأسه، وأنه سندها فقط على الصليب. ومع ذلك، لم تسجل الأناجيل في أي مرة أن المسيح احتاج إلى شيء.

هذه المقدمة ضرورية ونحن عازمون على التحدث عن هذا النص الذي قدمته تحت عنوان "أولويات الإنفاق".

لنقرأ النص الشهير:

> "ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ، وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًّا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هذَا الطِّيبُ بِثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟ قَالَ هذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. فَقَالَ يَسُوعُ: اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ، لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ" (يوحنا ١٢: ١-٨).

عند استخدام هذا النص بصورة خاطئة، نجد المبرر الواضح لهذا الاستخدام الخاطئ في جعل أولوياتنا تركز على الإنفاق على المباني وأدوات الخدمة والتفاصيل الكثيرة التي تمتلئ بها الخدمة تاركين الفقراء. ويزداد هذا الخطأ وضوحًا عندما نضع هذا النص بجوار النصوص التي تتحدث عن الإنفاق في بناء الهيكل ثلاث مرات، والبذخ الذي ظهر في بناء بيت الرب، ولذلك فإن هذه النصوص تضع الفقراء في المرتبة الثانية من حيث الأولوية في الإنفاق، وأحيانًا يكون الفقراء في المرتبة الأخيرة.

فقد أثنى المسيح على عمل مريم التي سكبت قارورة الطيب على رأسه دون الالتفات إلى الفقراء.

ولكن النص هنا يعطينا أكثر من ملاحظة:

أولًا: هذا الانسكاب على رأس المسيح كان انسكابًا نبويًا لأجل تكفينه، وهذا لا يحدث إلا مرة واحدة، وقد حدث وانتهى الأمر. وتقول الترنيمة الشهيرة إن طيب المريمات فاته الأوان، ومريم وحدها هي مَنْ فازت بنيشان سكب الطيب.

ثانيًا: الغرض المباشر للاستغناء عن الطيب لم يكن حاجة الفقراء، ولكنه كان بمثابة ذبيحة شكر لما قدمه المسيح لمريم بعد أن أقام أخاها من الموت.

ثالثًا: عدم قدسية الاقتراح، لأن مَنْ قدمه لم يكن سيعطيه للفقراء بصورة حقيقية، ولكنه كان سيذهب إلى جيبه الخاص لأنه كان سارقًا للصندوق. وهذا يحدث في مجتمعات كنسية كثيرة.

إذًا، هذا النص لا يبرر جعل الفقراء في المركز الأخير من جهة الإنفاق. في المجتمعات الكنسية الصحية، لا يوجد فقراء، لأن أعضاء الكنيسة من المفترض أن يعضدوا بعضهم البعض، ويسددوا احتياجات بعضهم البعض، وبالتالي فإن موضوع الفقراء في المجتمع الكنسي له أولويته الخاصة، هذا النص يتكلم عن ذبيحة شكر قُدمت للمسيح، وكان لها مدلول نبوي أوضحه السيد، ولكن اللص الموجود في المكان أقحم الفقراء في الموضوع دون أن يكون هناك احتياج حقيقي أو مبرر لإقحامهم.

لنناقش نصًا آخر يستخدمه عدو الخير للتشويش.

(٤) الطموح المشروع والطموح الجشع

لقد انتشرت في الكنائس بعض التعاليم التي جعلت جسد المسيح يئن، وهو حائر بين تدبير قوت يومه وبين حياة الإيمان التي ينبغي أن يتحلى بها.

والشعب المسيحي معذور في كل هذه الأمور، لأنه يجد صعوبة حقيقية في التوازن بين العيش بالإيمان وبين السعي لتحسين معيشة أسرته دون أن يشعر أنه يعبد المادة.

وفي هذا الكتاب، سيكون التركيز بشكل أكبر على النصوص الكتابية وإعادة فهمها بصورة صحيحة لكي نتمكن من تحقيق التوازن بين حياتنا المادية وحياتنا الروحية.

في مسيرة المسيح مع تلاميذه، كان شغل التلاميذ الشاغل هو: **ماذا سيحدث بعد نجاح مهمة المسيح؟** وفي الواقع، فإن هذا الأمر منعهم من فهم طبيعة إرسالية المسيح، ومنعهم أيضًا من فهم دورهم في هذه الإرسالية. لذلك نجد في أكثر من مرة معركة كلامية حول مَنْ سيكون الأعظم في ملكوت السموات، كما نجد أن بعض تصريحات كان لها تأثير سلبي بسبب الذهن المشوه لدى التلاميذ.

فنجد، على سبيل المثال، أنه عندما قال المسيح لبطرس: "أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ ٱلصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي"، فإن هذه العبارة كانت بالنسبة للمسيح جزءًا من التصريحات المتعلقة بالمأمورية العظمى، ولكن استقبال بطرس لها لم يكن على المستوى الصحيح،

لذلك نجد أنه في الفقرة التي تليها مباشرةً حاول بطرس منع المسيح من السير في طريق الصليب. لنقرأ الفقرة كاملة:

"وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ. حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلاَمِيذَهُ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلًا: حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا! فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ" (متى ١٦: ١٨-٢٣).

هذا التشويش الذي حدث لبطرس ومَنْ معه من التلاميذ كان واضحًا في سلوكهم، تمامًا مثلما نفهم العبارات الإنجيلية بطريقة سطحية دون استيعاب أسلوب الحياة الذي يجب إتباعه. على سبيل المثال، نجد أن سالومي، والدة يعقوب ويوحنا ابني زبدي، كانت طموحة، وتريد أن يكون لأولادها شأن عظيم. وقد كانت سالومي خالة يسوع، وكانت تدعم الإرسالية، وبالتالي شعرت أن لها مكانة خاصة عند يسوع، فطلبت أن يجلس يوحنا ويعقوب واحد على اليمين والآخر على اليسار في مملكة يسوع، ولم تكن تعرف أن هذين المكانين كانا محجوزين للصين.

والسؤال هنا: ما علاقة هذا بإدارة المال؟

والإجابة هي أنك عندما تفهم دورك في بناء الملكوت بصورة صحيحة وحقيقية سيعود إليك الاتزان في الحياة .

أولوية التفكير يجب أن تكون ملكوت الله وبره، والطموح لا بد أن يوجه في هذا الاتجاه.

كان التلاميذ مكرسين تمامًا لبناء الملكوت، ولكنهم كانوا ينظرون لأنفسهم ويتساءلون: "ماذا سنكسب من هذه الدائرة؟"، وهنا حدث التشويش وتعطيل الفهم.

أنت تسير في الحياة، وعليك أن تسأل: كيف أتمم مأموريتي العظمى في هذه الحياة؟

هل وأنت تعمل؟ أم وأنت متفرغ تمامًا للخدمة؟

إذا كنت تعمل، فعليك أن تؤدي هذا العمل على أكمل وجه، مع معرفة كيف يحقق هذا العمل دوره في بناء الملكوت.

إياك أن تعمل برخاوة على أساس أن الملكوت هو الأولوية، بل اعلم أن عملك هذا نفسه هو خطوة في بناء الملكوت.

التفكير هو الأساس. هل تفكر في تحصيل المال، أم في بناء الملكوت؟ إجابة هذا السؤال توضح أي إله تعبد، ولكن أن تعمل برخاوة بحجة بناء الملكوت فهذا يُعد عدم أمانة.

في مجال عملك، الطموح مشروع، والجشع خطية، والنجاح في عملك هدف يبني الملكوت. وذهنك في كل لحظة يجب أن يكون متجهًا إلى الله، كما يعلّمنا الرسول بولس بقوله: "فَأَحْيَا لا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ." أعيش في ظل هذا الاتجاه مع السعي الشديد لإتقان العمل. وهذا يقودنا لفكرة حساب النفقة.

(٥) حساب النفقة (بناء برج)

لدينا نص قد يسبب التشويش بالنسبة للعيش بالإيمان وحساب النفقة. فنجد أننا نستخدم هذا النص حسب تفسيرنا الشخصي، مما قد يؤدي إلى فهم غير صحيح أو غير متوازن.

"وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا لاَ يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ، فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ، قَائِلِينَ: هذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ، لاَ يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذلِكَ بَعِيدًا، يُرْسِلُ سِفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ. فَكَذلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا." (لوقا ١٤: ٢٨-٣٣)

في هذا النص، نجد عناصر التشويش والفهم الخاطئ الذي يؤدي إلى سلوك خاطئ تسير في اتجاهين:

١- إيجاد المبرر للتكاسل عن عمل شيء دون أي خطوات إيمانية.
٢- النظر إلى ما لدينا قبل التركيز على ما بيد الله لنا.

لنعرض الفكرة: المسيح هنا يخاطبنا في إصحاح كامل من إنجيل لوقا كان فيه يكلم الفريسيين بعد وليمة صنعها أحدهم له. بدأ المسيح يوضح أمورًا تعبّر عن عدم جدوى ما يفعلونه من مظاهر طقسية خارجية تاركين العمق الداخلي في مع الله. ولكي نفهم هذا النص، لا يمكن أن نقرأه بمعزل عن سياقه، لأن هذا النص وحده أشبه بمن يتكلم مع مقاول ويشرح له الأسلوب الأمثل للنجاح في عمله، لكن السياق يتضح إذا قرأنا الفقرة التي قبله والتي تقول:

"وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا." (لوقا ١٤: ٢٥ و٢٦).

فالموضوع إذًا ليس عن مقاول يرتب أوراقه قبل البناء، بل هو عن التضحية التي يجب عليك أن تعرف أنك سوف تقدمها عندما تتخذ قرارًا بأن تسلك في طريق الرب.

يؤثر هذا النص تأثيرًا كبيرًا في قرارات تبعية المسيح وأيضًا في قرارات التفرغ للخدمة، فنجد أن إبليس يشوش أفكارنا باستخدام النص لكي يوقف أي قرار خاص بالخدمة، ولسان الحال يقول: "الموضوع يعتمد على العقل، فماذا لديك؟ وهل ما ستقدمه سيكفي؟"

ليس ذلك فقط، بل يتساءل الشيطان: "هل العائد الناتج عن قرارك هذا سيجعلك تستمر؟ أم أنك ستخور في منتصف الطريق وسترجع ويكون لسان حالك مثل هذا المقاول الذي فشل في مهمته؟"

ولكننا ننسى أن المسيح قال هذا المثل للفريسين الذين يعشرون النعنع، ظنًا منهم أنهم بهذا يدخلون الملكوت، رغم أنهم يأكلون الحقوق.

والسؤال هنا هو: هل تتبع الحق؟ وهل أنت مستعد أن تضحي بكل نفيس وغالٍ لأجل هذه التبعية؟ إذا كانت الإجابة نعم، فما تملكه ليس مثل ما يملكه هذا المقاول، ولكن لديك مَنْ يفتح خزائنه بلا حساب، وعندما يعطي الرؤيا لن يدعك — بالإيمان — تحتاج إلى شيء.

المطلوب هو التأكد من صدق الرؤيا وصدق الدوافع، وليس المطلوب هو ما تمتلكه ماديًا أو معنويًا من أشياء، فكل هذه مثل الخمس خبزات والسمكتين، تمتلكهم أنت ولكنهم في يد السيد.

(٦) السيدة ذات الفلسين

في موقف السيدة ذات الفلسين، كانت الأمور كلها واضحة. سيدة ليس لديها سوى فلسين وقدمت كل ما لديها للرب. الأمور واضحة. فما هو الشيء الذي يستخدمه الشيطان في التشويش علينا بخصوص المال؟ لنقرأ النص:

"وَجَلَسَ يَسُوعُ تُجَاهَ الْخِزَانَةِ، وَنَظَرَ كَيْفَ يُلْقِي الْجَمْعُ نُحَاسًا فِي الْخِزَانَةِ. وَكَانَ أَغْنِيَاءُ كَثِيرُونَ يُلْقُونَ كَثِيرًا. فَجَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْقَتْ فَلْسَيْنِ، قِيمَتُهُمَا رُبْعٌ. فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ لَهُمُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقَوْا فِي الْخِزَانَةِ، لأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا. وَأَمَّا هذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا، كُلَّ مَعِيشَتِهَا". (مرقس ١٢: ٤١-٤٤)

في هذا النص، يوقعنا إبليس في الآتي:

١- التطلع لما يقدمه الآخرون. انظروا لما فعله يسوع. لقد وقف عند الصناديق حيث تقدم العطايا، ونظر إلى أسلوب الأغنياء في تقديم العطايا، وقيَّم كل عطية، وهذا ما نفعله نحن أيضًا، فهذا ليس خطأ، فقد سبق وفعله المسيح. لكننا ننسى أن المسيح كان بمثابة مَنْ يعطي درسًا لتلاميذه، فهو في فصل دراسي، ولم يكن بحاجة لأن يتطلع لما يقدمه الناس، فهو فاحص القلوب ومختبر دوافع كل إنسان. والتلاميذ كانوا في درس تلمذة، ولم يأمرهم أبدًا بممارسة هذا الأمر بعد ذلك، فالوصية الكتابية التي أعطاها المسيح تقول:

"فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ." (متى ٦: ٢ و٣)

فإذا كانت اليد اليمنى لا تعلم بما تفعله اليسرى، فإنك غير مسموح لك بأن تنظر إلى عطايا الآخرين.

٢- إدانة الآخرين: إبليس لا يقنع الإنسان بأن يراقب الآخرين فقط، بل أيضًا بأن يدينهم، فيتهمهم بالبخل رغم قدرتهم على العطاء، ويستخدم واقعة المرأة ذات الفلسين في إدانة الشخص الذي يظن أنه يعطي القليل. وبالطبع، لا يحق لك أن تدين الآخرين، ولكن يمكنك أن تحاسب نفسك ودوافعك.

هذا النص مناسب لكي تعرف أنه عليك أن تعطي، وتعطي بسخاء، من وقتك ومالك وعواطفك ومجهودك.

(٧) ما لقيصر لقيصر – ضريبة الدخل

لدينا نصوص عديدة تخص علاقة الإنسان بالدولة، ويستخدمها إبليس للتشويش وتبني السلوك الملتوي.

أولًا: ما لقيصر وما لله

النص الذي يتناول موضوع قيصر هذا يمكن أن نضع له عنوان "اختيار الولاء". وكثيرًا ما يضعك عدو الخير في اختبار اختيار الولاء في أمور كثيرة. لنقرأ النص أولًا:

"فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟ فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ ايتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ. فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ فَقَالُوا لَهُ: لِقَيْصَرَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ. فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ." (مرقس ١٢: ١٤-١٧).

هذا النص ورد في الكتاب المقدس لأن اليهود أرادوا الإيقاع بالمسيح، لكننا نستخدمه في حياتنا.

والنص الثاني يتعلق بضريبة الدخل.

يقول النص:

"وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفْرَنَاحُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمَيْنِ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا: أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمُ الدِّرْهَمَيْنِ؟ قَالَ: بَلَى. فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلًا: مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: مِنَ الأَجَانِبِ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: فَإِذًا الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. وَلكِنْ لِئَلاَّ نُعْثِرَهُمُ، اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلًا خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ". (متى ١٧: ٢٤-٢٧).

هذه النصوص من المفترض أن تجعلنا نفهم جيدًا ما يريده المسيح تجاه الدولة، فما يخص الدولة لا ينبغي أن نتجاهله، بل علينا أن نؤديه بانتظام، وحتى لو كان لدينا رأي آخر تجاه ما نؤديه، فإن ذلك لا يبرر التمرد، فالمسيح لم يتمرد عند دفع الضريبة.

هذا هو التفكير المتزن والطبيعي، ولكن إبليس يدلي بدلوه فيقول :

١- إن كانت ضريبة الدرهمين قد فُرضت على جميع اليهود، وهي أصلًا مجرد مساهمة في تكاليف العبادة بالهيكل، فلماذا قرنها يسوع بالجباية والجزية؟

٢- المسيح رفض أن يحول الحجارة إلى خبز عندما جاع (متى ٤)، فلماذا صنع معجزة ليسدد الضريبة؟

٣- لماذا أرجع يسوع بطرس لمهنته الأولى لكي يسدد الضريبة؟ هل هذا معناه أننا ينبغي أن نعود لمهنتنا الأولى عندما نعجز عن الدفع؟

لنرد على هذه التساؤلات بالترتيب:

أولًا: بالفعل ضريبة الدرهمين لم تكن جزية تُحصَّل لحساب الرومان، إنما كانت مساهمة وتبرع يلتزم به اليهودي لسد احتياجات الهيكل. كان اليهود بداية من وصولهم لسن العشرين ملتزمين بدفع هذه الضريبة، لذلك فالموضوع ليس موضوع جزية، ولكن إذا عرفنا هوية الدافع، يصير الموضوع جزية. في الحقيقة، هذا التعبير يشير إلى إعلان من إعلانات هوية المسيح بصفته الله الظاهر في الجسد. المسيح هنا هو صاحب الهيكل لأنه الله الظاهر في الجسد، فكيف يدفع لأجل هيكله؟ ولكنه دفع لكي لا يعثر أحد، لأن فكره أنه الله الظاهر في الجسد لم تكن قد وضحت بعد.

ثانيًا: المسيح صنع معجزة ليسدد الضريبة لأنها لم تكن له، بل كانت لأجل بطرس، وهو سبق وأن شفى حماة بطرس، فقد جاء لأجل الآخرين، ولم يخرج المبدأ عن هذا، فكون المسيح قد دفع عن نفسه أيضًا لا يعني أنه كان ينبغي أن يدفع، فالسداد من

الأساس كان لأجل مَنْ هو مستحق أن يدفع وهو بطرس.

ثالثًا: لقد رفض يسوع أن يرجع بطرس لمهنة الصيد في يوحنا ٢١، عندما كان بطرس في حالة يأس بعد أن أنكر السيد، ولكنه لم يمانع في أن يمارس بولس مهنة صنع الخيام لسداد احتياجاته، فالموضوع هو أن تبقى في مشيئة الله، وهو يعلن لك ما يريده منك، والأمر ليست له قواعد ثابتة.

ملخص الفصل

المال لا يمكن أن يكون هو الإله الآخر، فتعريف الإله هو ذلك الكائن الذي تضع عليه ثقتك ومحبتك، ويكون هو مصدر رجائك وأمانك. هذه المشاعر إذ قدمتها للمال أو الشهرة أو الجنس أو النجاح يكون هذا الشيء هو إلهك الآخر. ولكن في سيرك في هذه الحياة، عليك أن تعمل بجد وأمانة، وتجتهد لتكون أفضل، ويكون هدفك من هذا النجاح هو أن تكون صورة المسيح الذي خلقنا لنبدع ونعمل ونطور.

إذا تكاسلنا عن السعي نكون قد اقترفنا خطية، وإذا وضعنا نصب أعيننا أن النجاح هو مصدر رجائنا نكون قد عبدنا اله آخر.

لا يمكننا أن نعبد سيدين، لذا يجب علينا أن نسأل أنفسنا:

لمن يكون الاهتمام؟ وما هو الدافع وراء أعمالنا؟

أحيانًا تتحول عبادتنا لله نفسه إلى عبادة لإله آخر، عندما يكون الدافع وراء هذه العبادة هو المجد الشخصي أو نوال استحسان ما، فيقول المسيح لمن يتفاخر بعبادته إنه قد استوفى أجره من الناس. وفي واقع الأمر ، يصبح هذا السلوك مظهرًا من مظاهر عبادة إله آخر يمكن أن نسميه "إله الافتخار بكوني عابدًا جيدًا لله".

لا تستغرب، فعبادة الله تعني محبة كاملة وتامة لله، تليها محبة كاملة وتامة للقريب. وفي إطار هذه المنظومة، يأتي العمل لأجل الملكوت، من خلال توصيل رسالة المسيح للناس، سواء بأن تكون حياتك شاهدة أو أن يكون لسانك شاهدًا للمسيح، مع صدق كامل في حياتك.

معنى أن أكون ناجحًا في عملي هو أن أعيش أمينًا لله. لقد وضع دانيال نصب عينيه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه، وقد صار أحكم أبناء جيله. وهذه الحكمة لم يحصل عليها بسهولة، بل قدم الوقت والمجهود للوصول إلى هذه المكانة دون أن يجعل هذا المجهود هدفًا لإله آخر يعبده، بل كانت عبادته لله وحده.

اجتهد لكي لا يسرق الشيطان منك مجهودك، فتتحول مع الوقت لعابد لذلك الإله الآخر مهما كان اسمه. دائمًا اجعل الرب يسوع هو إلهك، وأحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. عِشْ بأمانة واتكل عليه وهو يجري

والآن بقيت فكرة واحدة تركتها للآخر، وكنتُ قد أشرتُ لها عند دراسة النصوص الخاصة بضريبة الدخل. أود أن أخصص فصلًا منفصلًا لموضوع المتفرغين للخدمة، والذين أسميتهم أبناء لاوي، على أساس أن الله قد خصص سبط لاوي لخدمة الشعب على المستوى الروحي في العهد القديم. وفي العهد الجديد، هناك رجال قد خصصوا أنفسهم أو خصصهم الرب لخدمته. فماذا عن هؤلاء؟ هل هؤلاء معرضون لعبادة ذلك الإله الآخر؟ وما الذي يجب عليهم أن يفعلوه لكي يظلوا أمناء للإله الواحد؟ هذا هو موضوع فصلنا الأخير.

الفصل السادس

مفهوم التفرغ في سبط لاوي

وكيف يحصل على قوت يومه.

مؤسسة خدمية كبيرة أصبح لها مقر في مصر منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وبدأت في تدريب القادة والخدام تدريبًا على مستوى عالٍ، وكانت تقدم المواد التعليمية الجميلة، والتي تتميز بالبساطة والفاعلية. هذه المؤسسة حققت نجاحًا كبيرًا في خدمتها، وبدأت في توسيع نطاق خدمتها ليشمل الجامعة والخريجين والأسرة وخدمة القرى والمجتمع. ومع مرور الوقت، بدأت تتوسع بشكل ملحوظ، وأصبح لكل ثمر كثير. وأفرز هذا الثمر مجموعة من أبناء المسيح الذين شعروا برغبة شديدة في ترك أعمالهم والتفرغ لخدمة المسيح. وبالفعل، طوال السنوات السابقة تفرغ المئات للخدمة في هذه المؤسسة الناجحة والمثمرة والفعالة.

ولكن نأتي إلى المشكلة الكبرى: هؤلاء الخدام الذين قرروا أن يتفرغوا للخدمة أصبحوا يشبهون سبط لاوي في العهد القديم، حيث إنهم ليسوا من الكهنة أو القساوسة الذي تقدم لهم كنائسهم الدعم، بل هم يخدمون في الجامعة والشارع والقرى والموالد، فمن أين يحصلون على التمويل؟

مشكلة كبيرة واجهتها المؤسسة، ففكرت في طريقة لجمع دعم الخدام، وقالت لهم: "أنتم تخدمون وسط أناس تتغير حياتهم بفعل خدمتكم، والمسيح يقول إن الفاعل مستحق أجرته، أنتم في حقول مثلما أرسل المسيح تلاميذه في حقول لزرع الكلمة. والإنجيل يقول إن التلاميذ لم يحتاجوا شيئا، فبالتأكيد أنتم لن تحتاجوا إلى شيء."

ولكن المجتمع المصري غير معتاد على تدعيم مثل هؤلاء الخدام المتفرغين للخدمة، وكان الأمر كان يحتاج إلى تدريب.

وبالفعل بدأ المتخصصون في جمع الدعم في تعليم هؤلاء القادة كيف يجمعون الدعم: يصورون ما يحدث في خدمهم، ويتكلمون عن رؤاهم، ويحددون أعضاء أسرتهم، وكل هذا يجمعونه في ألبوم اسمه "ألبوم الدعم"، ثم يبدأون في جمع مَنْ يسمون "شركاء الخدمة".

مَنْ هم شركاء الخدمة؟ إنهم أناس مثقلون بهؤلاء الخدام ويقدمون لهم تعهدات شهرية تساهم في تأمين احتياجاتهم لخدمتهم وحياتهم المعيشية.

ولكن عند التنفيذ، واجهوا عقبات كثيرة أولها أن الخدام لجأوا لأباطرة المال الأقباط، وهم قلة من الأثرياء الذين لا يمكنهم دعم أعداد كبيرة من الخدام، ففوجئ هؤلاء الأغنياء بهجوم من الخدام مما جعل البعض منهم يقتنع أن هؤلاء الخدام يحاولون استغلالهم أو ينصبون عليهم. وهذا بالطبع خطأ في التنفيذ، لأن شركاء الخدمة ينبغي أن يكونوا ممن استفادوا من الخدمة.

الخطأ الثاني حدث عندما حاول بعض الخدم جمع الكثير من شركاء الخدمة لتغطية النفقات، فقال لي أحدهم إنه جمع أكثر من ستين شريك خدمة لتغطية نفقاته، ولكن الذي حدث هو الاهتمام بشركاء الخدمة مع إهمال الخدمة نفسها. لقد كان يزور شركاء الخدمة مرة شهريًا، فكان يقوم بزيارة ستين شريك، فأين الوقت الذي يخصصه للخدمة نفسها؟

وأخيرًا، بعض الخدام نسوا الخدمة وتفرغوا لمن يغطي نفقاتهم، فحادوا عن الطريق وعبدوا ذلك الإله الآخر بهدوء وهم يظنون أنهم خدام متفرغون للخدمة.

لن أدين أحدًا؛ أنا أمام واقعة أدرس جميع جوانبها بعناية، لأن مشكلة الخدام المتفرغين تحتاج بالفعل إلى دراسة متأنية. في الواقع، ما يواجهه الخادم المتفرغ، سواء غير التابع لكنيسة أو التابع لمؤسسة لا تتعهد بتغطية نفقاته، جعل الخدام يشعرون بالحرج، خاصةً عندما لم تكن ردود أفعال بعض الناس على مستوى الخدمة، فشعر الخدام وكأنهم يتسولون. وبالتالي ترك كثيرون الخدمة، ولم يتبق غير مَنْ استطاع جمع داعمين يغطون تكاليف خدمته بسهولة.

وكانت النتيجة أن ترك كثير من الخدام الموهوبين الخدمة بسبب النفقات؛ بعضهم انتقل لخدمات أخرى، والبعض الآخر ترك حياة التفرغ تمامًا. فمن المخطئ هنا؟

هل المشكلة في الخدمة أم في أسلوب تغطية النفقات أم في المجتمع المصري ونظرته للخادم المتفرغ؟سؤال يستحق الدراسة.

دعونا في البداية نقرأ وصية المسيح عندما أرسل تلاميذه للكرازة، ومنها نبدأ حديثنا عن تلاميذ المسيح، ولكن هذا ليس النص الوحيد الذي يجب دراسته، فنحن لدينا النص الخاص بسبط لاوي في العهد القديم، وأيضًا لدينا وصايا رسائل العهد الجديد. في الواقع لن أخوض في الموضوع ككل، بل سأجيب عن سؤال واحد هو:

كيف أهرب من شرك عبادة الإله الآخر وأنا متفرغ لخدمة الرب يسوع؟

لنبدأ بقراءة النص الذي جاء على لسان المسيح نفسه:

> "لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ، وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌ طَعَامَهُ. وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَافْحَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقٌ، وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا. وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ. وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ." (متى ١٠: ٩-١٥).

من خلال هذا النص، هناك بعض الحقائق التي ربما تكون غائبة عن المجتمع الكنسي.

- **الفاعل مستحق طعامه**

فمن يتفرغ لخدمة معينة يحتاج إلى دراسة متعمقة من الكتاب المقدس، وكذلك دراسة في مجال الخدمة نفسها. على سبيل المثال، إذا كان الخادم يتفرغ لخدمة الشباب، فهذا يتطلب دراسات كثيرة في فهم احتياجات الشباب، ونفسياتهم، والتحديات التي يواجهونها. بالإضافة إلى ذلك، يحتاج الخادم إلى وقت مخصص لتقديم الرسالة، ووقت آخر للتلمذة، ووقت آخر للتطوير... الخ. وكل هذا يعني أنه لا يتبقى وقت للعمل بجانب الخدمة، فيكون التفرغ للخدمة بمثابة "عمل" في حد ذاته. لذلك فإن الخادم المتفرغ مستحق أن يحصل على أجر. وهذا ليس من باب التسول أو الحصول على مساعدات، بل هو حق له، لأنه لكي يكون الخادم ناجحًا في أداء مهمته، يجب أن يبذل وقتًا وجهدًا كبيرين في الخدمة، وهذا العمل نفسه يستحق أن يُقَابَل بأجر يعكس الجهد المبذول. الخادم المتفرغ ليس في وضع ضعف يحتاج إلى إقناع الآخرين بمبررات للحصول على معيشته. بل هو في موقف يُقدِّر فيه عمله وجهده المخلص.

- **لا تنسَ الهدف الرئيسي لتفرغك**

عندما أمر المسيح ألا يأخذوا معهم في رحلتهم إلا الاحتياجات الأساسية فقط، كان يقصد ألا ينشغلوا بتفاصيل قد تشتتهم عن الخدمة نفسها. ربما كان الأمر أبسط أيام السيد المسيح من حيث احتياجات الحياة اليومية، لكن في هذه الأيام الموضوع أكثر تعقيدًا، فبجانب الخدمة الاحتياجات الأساسية هناك مصاريف سكن ودراسة وأولاد ... الخ.

ومع هذه التفاصيل، نستطيع أن نترجم وصية المسيح في عصرنا الحاضر بأن نقول: "لا تنشغلوا بتلك التفاصيل الصغيرة، فالاحتياجات سوف يتولاها المسيح، ولن تحتاجوا إلى شيء."

ولكن المشكلة هي أنه على ما يبدو كان الناس في زمن المسيح يقدِّرون ذلك العمل، لذلك لم يحتاج التلاميذ إلى شيء، كما أن الأمر أيضًا كان مرتبطًا بالإيمان والصلاة، حيث كان الخادم يتكل على الله ليؤمِّن له احتياجاته، لكن في أيامنا هذه، الانشغال بالتفاصيل الحياتية يمكن أن يشتت الخادم عن هدفه الأساسي.

- **رجل السلام**

في خدمة التلاميذ، كان مفتاح الخدمة هو وجود رجل سلام يتبنى التلميذ. لم يطلب المسيح جمع الأموال من خلال عشرات الداعمين، بل كان يركز على عمل الروح في الأشخاص الذين يفتحون بيوتهم وأرواحهم للخدمة. ولكن في عصرنا الحالي، يمكن أن نترجم هذه الفكرة إلى "كنيسة السلام". يمكن لكنيسة الخادم المحلية أن تكون بمثابة "رجل السلام" الداعم للخدمة، ولكن قد يواجه الخادم المتفرغ مشكلة تتمثل في أن الكنيسة غير مقتنعة بالخدمة، أو أنه لا ينتمي إلى كنيسة محددة. في هذه الحالة، يصبح الخادم بلا رجل سلام. من هنا، يصبح الأمر ضروريًا أن يكون هناك شخص في الصفوف الخلفية يساند الخادم، ويكون داعمًا له ليس فقط بالصلاة، ولكن أيضًا بتدبير احتياجاته المالية. هذا الشخص قد يكون فردًا من المجتمع أو قيادة روحية، ولكن قبل أن يبدأ الخادم في مشوار التفرغ الكامل، يجب أن يكون لديه هذا الدعم الثابت.

بعض المؤسسات تدعم الخادم لفترة محددة وبعدها تتركه. في هذه الحالة، أمامك فرصة لتغيير رجل السلام من خلال ثمر خدمتك، لكن لا تجعل هذا الأمر شغلك الشاغل. إنه البداية، ولكنه ليس كل شيء.

- **أنت رسول من قِبل الله، فاعرف قيمتك**

إياك أن تشعر بصغر نفس أمام داعميك، أو تغير من خططك لتتناسب مع رغباتهم خوفًا من أن ينقطع الدعم. بهذه الطريقة، أنت تخدم الإله الآخر. ليكن هدفك ورؤيتك من قِبل الله، وعلى داعميك أن يدعموك بالصلاة والمال عن قناعة تامة، دون التدخل في تفاصيل خدمتك أو تغيير مسارها.

- **سلوك قد يتسبب في ضياعك**

إذا أصرَّ رجل السلام على فرض شروطه عليك، وكان ذلك يتعارض مع رؤيتك، فعليك أن تنفض غبار رجلك وتغادر، هذا بالطبع إذا كنت واثقًا من رؤيتك، فالاستسلام لمثل هذه الضغوط يتسبب في ضياع الرؤيا والهدف.

- أنت غير محتاج لتبرير سلوكياتك، لكن لا بد أن يكون كل شيء في النور

أحيانًا يراقب رجل السلام سلوكك، وطريقة إنفاقك، وأسلوب حياتك، ويقحم نفسه في حياتك الشخصية بدعوى النصيحة. كن دائمًا في النور، واسلك في النور، لكن أنت لست بحاجة إلى تبرير ما تنفقه أو ما تسلك به طالما أن كل شيء في النور.

- احترس من أن تكون خادمًا للدعم وليس للرؤيا.
- احترس من أن تنسى أن مَنْ يدبر احتياجاتك هو الله، وأنه هو مَنْ يرسل لك.

خاتمة

توازن لا بد منه

في الختام، أقول كلمات بسيطة: المال هو بركة، وليس إلهًا، فالإله الآخر يولد في عقولنا وترتبط به قلوبنا.

يمكن أن يكون هذا الإله هو محبة المال، أو الخوف من عدم وجود المال، أو شهوة إنفاق المال، ويمكن أن يكون أشياء أخرى كثيرة.

مَنْ تعبده سوف تحبه من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، وسوف تطيعه لأنه موضوع محبتك وعشقك.

ويظهر ذلك في امتحان تعارض المصالح، فإذا تعارضت مصالح الله مع ذلك الإله الآخر، أيًا كان اسمه، ومِلت نحو الإله الآخر، فهذا يعني أن محبتك ناقصة وأنك تحتاج إلى التوبة وإلى مراجعة سلوكك.

إلهك الحقيقي يدبر لك احتياجاتك ويضعك في حالة من السلام والطمأنينة، فهل في عدم وجود المال تفقد أمانك؟ إذا كان أمانك في المال، فهذا يعني أنك تحتاج إلى أن تتراجع، لأن أغلب مَنْ يعبدون المال لا يعرفون، ويظنون أنهم يحبون الله، ولكنهم في الواقع يفقدون البساط من تحت أقدامهم دون أن يدركوا ذلك.

وهذا الكتيب هو مجرد رسالة إنذار لكل محبي الله: احترس من الإله الآخر .

عماد حنا